رمضان شهر القرآن

دعوة للتأمل في عظمة كتاب الله عز وجل

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

ابن عجوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

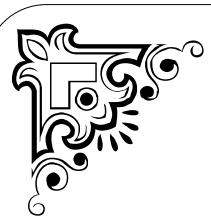

رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ

فَشَهْرُ رَمَضَانَ؛ عَظَّمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْرَهُ، وَأَبْقَىٰ ذِكْرَهُ لَمَّا أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ المَجِيدَ؛ بَلْ إِنَّ النَّاظِرَ فِي الْآيَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهَا بِصِيَامِهِ؛ يَلْمَحُ أَنَّ هَذَا الصِّيَامَ إِنَّمَا فُرِضَ فِي هَذَا الشَّهْرِ لِنُزُولِ القُرْآنِ فِيهِ.

فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَكَرَ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ فِي رَمَضَانَ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]، فَذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نُزُولَ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

فَفَرَضَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صِيَامَهُ بَعْدَمَا ذَكَرَ تَخْصِيصَهُ بِنُزُولِ الْقُرْآنِ فِيهِ؛ لِذَلِكَ يَقُولُ الْعُلَمَاءُ: شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الْقُرْآنِ، أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ الْقُرْآنَ، وَسَنَّ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقِيامَ، وَفِي الْقِيامِ تِلَاوَةٌ لِكِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا مَعَ التَّطْوِيلِ فِي ذَلِكَ مَا اسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُونَ.(*).

لَقَدِ اقْتَرَنَ شَهْرُ رَمَضَانَ بِالْقُرْآنِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ ذَلِكَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ١».

كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

«﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أَيِ: الصَّوْمُ الْمَفْرُوضُ عَلَيْكُمْ هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ، الشَّهْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ حَصَلَ لَكُمْ فِيهِ مِنَ اللهِ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْمُشْتَمِلُ عَلَىٰ الْهِدَايَةِ لِمَصَالِحِكُمُ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَتَبْيِينِ الْحَقِّ بِأَوْضَحِ بَيَانٍ، وَالْفُرْقَانِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَأَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ؛ فَحَقِيقٌ بِشَهْرٍ هَذَا فَضْلُهُ وَهَذَا إِحْسَانُ اللهِ عَلَيْكُمْ فِيهِ أَنْ يَكُونَ مَوْسِمًا لِلْعِبَادِ مَفْرُوضًا فِيهِ الصِّيَامُ.

فَلَمَّا قَرَّرَهُ، وَبَيَّنَ فَضِيلَتَهُ وَحِكْمَةَ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِي تَخْصِيصِهِ؛ قَالَ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾، هَذَا فِيهِ تَعْيِينُ الصِّيَامِ عَلَىٰ الْقَادِرِ الصَّحِيحِ الْحَاضِرِ.

وَلَمَّا كَانَ النَّسْخُ لِلتَّخْيِيرِ بَيْنَ الصِّيَامِ وَالْفِدَاءِ خَاصَّةً؛ أَعَادَ الرُّخْصَةَ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ؛ لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّ الرُّخْصَةَ -أَيْضًا- مَنْسُوخَةٌ، فَقَالَ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ أَيْ: يُرِيدُ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَنْ يُيَسِّرَ عَلَيْكُمُ الطُّرُقَ الْمُوصِلَةَ إِلَىٰ رِضْوَانِهِ أَعْظَمَ تَيْسِيرٍ، وَيُسَهِّلَهَا أَشَدَّ تَسْهِيلٍ؛ وَلِهَذَا كَانَ جَمِيعُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ فِي غَايَةِ السُّهُولَةِ فِي أَصْلِهِ، وَإِذَا حَصَلَتْ بَعْضُ الْعَوَارِضِ الْمُوجِبَةِ لِثِقَلِهِ؛ سَهَّلَهُ تَسْهِيلًا آخَرَ؛ إِمَّا بِإِسْقَاطِهِ، أَوْ تَخْفِيفِهِ بِأَنْوَاعِ التَّخْفِيفَاتِ.

وَهَذِهِ جُمْلَةٌ لَا يُمْكِنُ تَفْصِيلُهَا؛ لِأَنَّ تَفَاصِيلَهَا جَمِيعُ الشَّرْعِيَّاتِ، وَيَدْخُلُ فِيهَا جَمِيعُ الرُّخَصِ وَالتَّخْفِيفَاتِ.

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾: وَهَذَا -وَاللهُ أَعْلَمُ- لِئَلَّا يَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّ صِيَامَ رَمَضَانَ يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ مِنْهُ بِبَعْضِهِ، دَفَعَ هَذَا الْوَهْمَ بِالْأَمْرِ بِتَكْمِيلِ عِدَّتِهِ، وَيَشْكُرُ اللهَ تَعَالَىٰ عِنْدَ إِتْمَامِهِ عَلَىٰ تَوْفِيقِهِ وَتَسْهِيلِهِ وَتَبْيِينِهِ لِعِبَادِهِ، وَبِالتَّكْبِيرِ عِنْدَ انْقِضَائِهِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ التَّكْبِيرُ عِنْدَ رُؤْيَةِ هِلَالِ شَوَّالٍ إِلَىٰ فَرَاغِ خُطْبَةِ الْعِيدِ»(١).

وَاقْتِرَانُ رَمَضَانَ بِالْقُرْآنِ لَهُ صِلَةٌ بِفَرْضِ الصِّيَامِ فِيهِ، فَالصَّوْمُ مِنْ أَقْوَىٰ الْأَسْبَابِ فِي إِزَالَةِ الْعَلَائِقِ الْبَشَرِيَّةِ الْحَاجِبَةِ عَنْ رُؤْيَةِ الْهِدَايَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي بَثَّهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ؛ وَلِهَذَا فَإِنَّ الْمُنَاسَبَةَ وَالصِّلَةَ بَيْنَ الصَّوْمِ وَنُزُولِ الْقُرْآنِ عَظِيمَةٌ.

فَلَمَّا كَانَ رَمَضَانُ مُخْتَصًّا بِنُزُولِ الْقُرْآنِ؛ فَقَدْ كَانَ لَازِمًا أَنْ يَكُونَ مُخْتَصًّا بِالصِّيَامِ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ هُوَ أَنْسَبُ حَالَاتِ الْإِنْسَانِ لِتَلَقِّي هُدَىٰ اللهِ الْمُنَزَّلِ فِي الْقُرْآنِ.

وَالْآيَاتُ تُشْعِرُكَ بِأَنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ الصَّوْمِ: تَصْفِيَةَ الْفِكْرِ لِأَجْلِ فَهْمِ الْقُرْآنِ؛ فَبَعْدَ الْحَدِيثِ عَنْ فَرْضِيَّةِ الصِّيَامِ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] جَاءَ الْحَدِيثُ عَنْ تَنَزُّلِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ لِيَكُونَ شَهْرُ رَمَضَانَ مُخْتَصًّا بِالصِّيَامِ لِأَجْلِ الْقُرْآنِ، وَمِنْ هُنَا كَانَ رَمَضَانُ وَكَانَ الصِّيَامُ لِأَجْلِ الْقُرْآنِ، وَلَا عَجَبَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ عَنْ رَمَضَانَ: «شَهْرُ الْقُرْآنِ».(*).

❀❀❀

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ١٨-٥-٢٠١٨م.

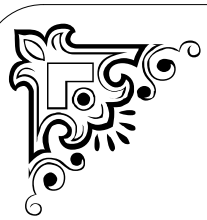

حَالُ السَّلَفِ مَعَ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ

لَقَدْ فَهِمَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ هَذَا الْمَعْنَىٰ جَيِّدًا وَوَعَوْهُ -أَنَّ الصِّيَامَ لِأَجْلِ الْقُرْآنِ-، وَعَلِمُوا أَنَّ وَظِيفَةَ رَمَضَانَ الْكُبْرَىٰ هِيَ الِاعْتِنَاءُ بِالْقُرْآنِ، وَالْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ، وَالصِّيَامُ لِأَجْلِ تَخْلِيَةِ الذِّهْنِ لِلْقُرْآنِ.

«**سُئِلَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ الْعَمَلِ فِي رَمَضَانَ، فَقَالَ**: «إِنَّمَا هُوَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ».

وَنَقَلَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنِ الْإِمَامِ الثَّوْرِيِّ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ؛ تَرَكَ جَمِيعَ الْعِبَادَاتِ غَيْرِ الْوَاجِبَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ».

وَحَكَىٰ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ؛ فَرَّ مِنْ مَجَالِسِ الْعِلْمِ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمُصْحَفِ»»[1].(*).

كَانَ الْأَئِمَّةُ -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ- يَجْتَهِدُونَ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَخْتِمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَتْمَةً، وَرُبَّمَا كَانَ يَخْتِمُ خَتْمَتَيْنِ،

---

(١) بتصرف يسير من: «لطائف المعارف» لابن رجب (ص١٧١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ١٨-٥-٢٠١٨م.

وَأَحْوَالُهُمْ نُسَلِّمُهَا إِلَيْهِمْ وَلَا نَقْتَدِي بِهِمْ فِيهَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهْهُ**»(١)؛ وَلَكِنَّ الْأَئِمَّةَ لِكَثِيرٍ مِنْهُمْ أَحْوَالٌ، وَآتَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَثِيرًا مِنْهُم قُدْرَةً عَلَىٰ مَا لَا يَسْتَطِيعُهُ مَنْ لَيْسَ فِي دَرَجَتِهِم فِي الْعِلْمِ وَالعَمَلِ.(*).

لَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُكْثِرُونَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ، وَكَانُوا إِذَا صَامُوا جَلَسُوا فِي الْمَسَاجِدِ وَقَالُوا: «نَحْفَظُ صَوْمَنَا وَلَا نَغْتَابُ أَحَدًا»(٣)، وَكَانُوا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا.

كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه يَخْتُمُ الْقُرْآنَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً(٤)، وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَخْتُمُ الْقُرْآنَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ فِي كُلِّ ثَلَاثِ لَيَالٍ، وَبَعْضُهُمْ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَبَعْضُهُمْ فِي كُلِّ عَشْرٍ.

كَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَعِيُّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَتَيْنِ فِي رَمَضَانَ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٩٠)، والترمذي (٢٩٤٩) وغيرهما عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِي كَمْ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: «**فِي شَهْرٍ**»، قَالَ: إِنِّي أَقْوَىٰ مِنْ ذَلِكَ، يُرَدِّدُ الْكَلَامَ أَبُو مُوسَىٰ، وَتَنَاقَصَهُ حَتَّىٰ قَالَ: «**اقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ**»، قَالَ: إِنِّي أَقْوَىٰ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ**». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١٨، رقم ١٥١٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ١».

(٣) «المغني» لابن قدامة (٣/ ١٨١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٦) عن ابن سيرين، عن عثمان «أنه قرأ القرآن في ركعة في ليلة»، وسنده حسن.

وَكَانَ قَتَادَةُ يَخْتُمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَبْعٍ دَائِمًا، وَفِي رَمَضَانَ كُلَّ ثَلَاثٍ، وفِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَأَخْبَارُهُمْ فِي ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ.

«إِنَّمَا وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ عَلَىٰ الْمُدَاوَمَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَأَمَّا الْأَوْقَاتُ الْمُفَضَّلَةُ كَشَهْرِ رَمَضَانَ، وَخُصُوصًا اللَّيَالِي الَّتِي تُطْلَبُ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، أَوْ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُفَضَّلَةِ كَمَكَّةَ لِمَنْ دَخَلَهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا؛ فَيُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ فِيهَا مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ اغْتِنَامًا لِفَضِيلَةِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ عَمَلُ غَيْرِهِمْ»(١). (*).

(١) «لطائف المعارف» (ص١٧١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ١٨-٥-٢٠١٨م.

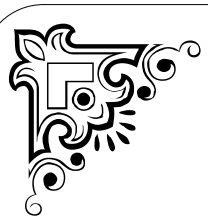

مِنْ فَضَائِلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ

لَقَدِ اصْطَفَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِنَفْسِهِ أَهْلَ كِتَابِهِ التَّالِينَ لَهُ، وَالْعَامِلِينَ بِهِ؛ فَجَعَلَهُمْ أَهْلَهُ وَخَاصَّتَهُ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**».

قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَه، وَالْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

اهْتِمَامُكَ -أَيُّهَا الصَّائِمُ- بِالْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ تِلَاوَةً وَمُدَارَسَةً؛ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِدَايَةً لِتَصْحِيحِ الْمَسَارِ مَعَ الْقُرْآنِ؛ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ، وَحَتَّىٰ لَا تَكُونَ مِنَ الْهَاجِرِينَ لِلْقُرْآنِ، الْمُسْتَجْلِبِينَ لِغَضَبِ رَبِّهِمْ وَشَكْوَىٰ رَسُولِهِمْ ﷺ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]؛ فَلْيَكُنْ لَكَ بِالْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ وِرْدٌ أَوْ حِزْبٌ تَسْتَمِرُّ بِهِ بَعْدَ رَمَضَانَ؛

---

(١) أخرجه أحمد (١٩/٢٩٦، رقم ١٢٢٧٩)، وابن ماجه (٢١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٤٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٣٢).

حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ الذِّكْرِ لَا مِنْ أَهْلِ الْهَجْرِ، فَتَحْزِيبُ الْقُرْآنِ سُنَّةٌ؛ لَكِنَّهَا مَهْجُورَةٌ، كَادَتْ تَضِيعُ بَيْنَ أَهْلِ الدَّعْوَةِ وَالِالْتِزَامِ؛ فَضْلًا عَنِ الْعَوَامِّ.

وَقَدْ كَانَ شَأْنُ السَّلَفِ مَعَ الْقُرْآنِ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَىٰ قَدْرٍ ثَابِتٍ مِنَ الْقِرَاءَةِ كُلَّ يَوْمٍ، يُسَمُّونَهُ حِزْبًا، أَوْ يُسَمُّونَهُ وِرْدًا أَوْ جُزْءًا يُوصِلُهُمْ إِلَىٰ خَتْمِ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، أَوْ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً، أَوْ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مَرَّةً.

وَأَصْلُ السُّنَّةِ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ، مِنْهَا: قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَاهْتِمَامُ السَّلَفِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ كَانَ لَهُ شَأْنٌ آخَرُ؛ فَقَدْ كَانَ يُسْمَعُ لَهُمْ بِالْقُرْآنِ فِي بُيُوتِهِمْ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ.

وَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ بِتَمَامِهِ زَمَانًا شَرِيفًا لِلتِّلَاوَةِ وَالذِّكْرِ؛ فَإِنَّ لَيَالِيَهُ أَنْسَبُ لِذَلِكَ، فَهِيَ أَرَقُّ فِي الشُّعُورِ، وَأَدَقُّ فِي التَّدَبُّرِ، وَلَعَلَّ هَذَا سَبَبُ مَجِيءِ جِبْرِيلَ عليه السلام لَيْلًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ؛ لِكَيْ يُدَارِسَهُ الْقُرْآنَ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

وَقَدْ عَلَّقَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ عَلَىٰ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَقَالَ: «دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَىٰ اسْتِحْبَابِ الْإِكْثَارِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ لَيْلًا؛ فَإِنَّ اللَّيْلَ تُقْطَعُ فِيهِ

(١) أخرجه مسلم (٧٤٧) من حديث عمر بن الخطاب.

الشَّوَاغِلُ، وَتُجْمَعُ فِيهِ الْهِمَمُ، وَيَتَوَاطَأُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ عَلَىٰ التَّدَبُّرِ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]»(١).

هَذَا مِنْ نَاحِيَةِ الْأَزْمِنَةِ، أَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْأَمْكِنَةِ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ لِلْمَسَاجِدِ فَضْلَهَا فِي الْقِرَاءَةِ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا اقْتَرَنَتِ التِّلَاوَةُ بِالْمُدَارَسَةِ وَالتَّعَلُّمِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»(٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَىٰ فَضْلِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَعَظِيمِ ثَوَابِهِ، وَأَنَّهُ شَفِيعٌ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُؤْتَىٰ بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ**»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «**كَأَنَّهُمَا** -يَعْنِي: الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ- **غَمَامَتَانِ** -وَالْغَمَامَةُ وَالْغَيَايَةُ: كُلُّ شَيْءٍ

---

(١) «لطائف المعارف» (ص١٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٤).

أَظَلَّ الْإِنْسَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ؛ مِنْ سَحَابَةٍ، وَغَبَرَةٍ، وَغَيْرِهِمَا-، **أَوْ ظُلْمَتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ** -أَيْ: ضِيَاءٌ وَنُورٌ-، **أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ**»(٢). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ شَاكِرٌ، وَالشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: (آلم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ (أَلِفٌ) حَرْفٌ، وَ(لَامٌ) حَرْفٌ، وَ(مِيمٌ) حَرْفٌ**»(٣). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَيَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ وَاللَّيَالِي الشَّرِيفَةِ؛ فَإِنَّ لِكَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ فِي رَمَضَانَ مَزِيَّةً خَاصَّةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ؛ لِيَغْتَنِمَ شَرَفَ الزَّمَانِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي لَيَالِي

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (٦٦٢٦)، والحاكم (٢٠٣٦)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٣٧٨) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي بإسناد صحيح. أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٣٧١) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٢٧).

رَمَضَانَ لَهَا مَزِيَّةٌ؛ فَإِنَّ اللَّيْلَ تَنْقَطِعُ فِيهِ الشَّوَاغِلُ، وَتَجْتَمِعُ فِيهِ الْهِمَمُ، وَيَتَوَاطَأُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ عَلَىٰ التَّدَبُّرِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١): «أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام كَانَ يَلْقَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ».

وَلَوْ كَانَ الذِّكْرُ أَفْضَلَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مُسَاوِيًا لَهُ؛ لَفَعَلَا -يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ وَجِبْرِيلَ- دَائِمًا، أَوْ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مَعَ تَكْرَارِ اجْتِمَاعِهِمَا.

فَأَفَادَنَا هَذَا الْحَدِيثُ اسْتِحْبَابَ دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ، مَعَ الِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَعَرْضِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ مَنْ هُوَ أَتْقَنُ وَأَحْفَظُ لَهُ.(*).

وَكَمَا أَنَّ الصَّائِمَ يَجْتَهِدُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَعَلَيْهِ -أَيْضًا- أَنْ يَجْتَهِدَ فِي إِحْسَانِ الِاسْتِمَاعِ لِكَلَامِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَإِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوِ الِاسْتِمَاعَ لِتِلَاوَتِهِ بِتَدَبُّرٍ عِبَادَةٌ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٣) قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ -يَعْنِي ذَاتَ يَوْمٍ-: «**اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ**».

قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟

فَقَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**» ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٢) مسلم (٢٣٠٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ١٨-٥-٢٠١٨م.

(٣) «صحيح البخاري» (رقم ٤٥٨٢) ومواضع، و«صحيح مسلم» (رقم ٨٠٠).

قَالَ: فَاسْتَفْتَحْتُ النِّسَاءَ حَتَّىٰ إِذَا وَصَلْتُ إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١].

قَالَ: «**حَسْبُكَ الْآنَ**».

قَالَ: فَالْتَفَتُّ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ﷺ.

اسْتَغْرَقَتِ النَّبِيَّ ﷺ مَعَانِي هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَفِيهَا يَتَوَجَّهُ اللهُ جَلَّوَعَلَا بِالْخِطَابِ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾: يَعْنِي وَجِيءَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاتَمَةِ شَهِيدًا، بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ، وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفْتَ الْغُمَّةَ، وَبَلَّغْتَهُمْ أَوَامِرَ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَفَصَّلْتَ لَهُمْ، وَوَضَّحْتَ لَهُمْ مَا غَمَضَ عَلَيْهِمْ، وَجَلَّيْتَ لَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَىٰ أَفْهَامِهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ الَّذِي وَصَفَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ الْمُشَرَّفَةُ، يَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، وَتَأْتِي الْأُمَمُ، وَتَأْتِي هَذِهِ الْأُمَمُ خَلْفَ أَنْبِيَائِهَا؛ يَشْهَدُ عَلَىٰ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ مِنْهُمْ، وَيَجِيءُ مُحَمَّدٌ ﷺ شَهِيدًا عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاتَمَةِ، وَعِنْدَئِذٍ فَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالدَّمْعِ بُكَاءً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا تَمَثُّلًا لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ وَالْمَشْهَدِ الْأَكْبَرِ.

قَالَ: فَقَالَ لِي: «**حَسْبُكَ الْآنَ**»؛ يَعْنِي يَكْفِي مَا قَرَأْتَ.

قَالَ: فَالْتَفَتُّ يَعْنِي إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ.

وَلَعَلَّ الَّذِي جَعَلَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ هُوَ تَغَيُّرُ نَغْمَةِ الصَّوْتِ الَّتِي قَالَ بِهَا لَهُ حَسْبُكَ الْآنَ؛ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَتْ عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ الدَّمْعَ

الْمِدْرَارَ الْغَزِيرَ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، تَأَثَّرَ صَوْتُهُ بَعْضَ تَأَثُّرٍ، فَقَالَ لِابْنِ مَسْعُودٍ: «**حَسْبُكَ الْآنَ**»، فَكَانَ فِي نَبْرَةِ الصَّوْتِ تَأَثُّرُهُ وَبُكَاؤُهُ.

قَالَ: فَالْتَفَتُّ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ﷺ.(*).

رَمَضَانُ بِكَرَامَتِهِ وَحُرْمَتِهِ يَسْتَحِقُّ مِنْكَ -أَيُّهَا الصَّائِمُ- أَنْ تَحْفَظَهُ عَنِ الْبَاطِلِ وَسَمَاعِهِ فِي جِلْسَاتِكَ وَلِقَاءَاتِكَ، فَكُلُّ بَاطِلٍ سَمَاعُهُ بَاطِلٌ إِذَا كَانَ اسْتِمَاعَ تَلَقٍّ وَرِضًا وَإِعْجَابٍ.

يَا أُذْنُ لَا تَسْمَعِي غَيْرَ الْهُدَىٰ أَبَدًا ... إِنَّ اسْتِمَاعَكِ لِلْأَوْزَارِ أَوْزَارُ

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ حِفْظَ السَّمْعِ مِنْ أَخَصِّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَفِي الصِّفَاتِ الْعَشْرِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ فِي «سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ» يَأْتِي الْإِعْرَاضُ عَنِ اللَّغْوِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مُبَاشَرَةً بَعْدَ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ؛ حَيْثُ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾ [المؤمنون: ١-٣].

فَالْمُؤْمِنُونَ لِسَمَاعِهِمُ الْخَيْرَ؛ فَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَلِكَيْ يُحَافِظُوا عَلَىٰ ذَلِكَ فَهُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ؛ لِأَنَّ سَمَاعَ الشَّرِّ يُضَيِّعُ رَصِيدَ الْقَلْبِ مِنْ سَمَاعِ الْخَيْرِ، وَيُشَوِّشُ عَلَىٰ النَّفْسِ قِيَمَ الْحَقِّ.

قَالَ -تَعَالَىٰ- مُزَكِّيًا فِعْلَ مَنْ طَهَّرُوا أَسْمَاعَهُمْ: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ**﴾ [القصص: ٥٥].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ٤» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٣هـ| ٢٧-٩-٢٠٠٢م.

وَكَمَا تَتَضَاعَفُ فِي رَمَضَانَ مَسْؤُولِيَّةُ الْأُذُنِ فِي عَدَمِ سَمَاعِ الْبَاطِلِ فَإِنَّهَا تَعْظُمُ فِي سَمَاعِ الْحَقِّ، فَالصَّلَوَاتُ الْجَهْرِيَّةُ، وَصَلَاةُ الْقِيَامِ الْجَمَاعِيَّةُ تَقُومُ عَلَىٰ حُسْنِ الِاسْتِمَاعِ لِمَا يُتْلَىٰ، وَكَذَلِكَ حِلَقُ الذِّكْرِ وَمَجَالِسُ الْعِلْمِ تَقْتَضِي يَقَظَةَ السَّامِعِ وَحُسْنَ إِنْصَاتِهِ.

وَسَمَاعُ الْقُرْآنِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ، تَنَزَّلَ الْقُرْآنُ بِالْأَمْرِ بِهَا وَالثَّنَاءِ عَلَىٰ أَهْلِهَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وَقَدْ تَنَزَّلَ الْقُرْآنُ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ الْجِنِّ وَهُمْ فِي عَالَمِهِمُ الْمَحْجُوبِ، يَشْكُرُ لَهُمْ حُسْنَ اسْتِمَاعِهِمْ وَجَمِيلَ إِنْصَاتِهِمْ لِلْقُرْآنِ وَهُوَ يُتْلَىٰ، وَنَزَلَتْ بِشَأْنِ ذَلِكَ سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ هِيَ «سُورَةُ الْجِنِّ»: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

تَرَىٰ مَنْ مِنَ الْإِنْسِ قَالُوا عِنْدَمَا اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ مِثْلَ مَا قَالَتِ الْجِنُّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢]؟!!

كَمْ مِنَ الْإِنْسِ وَعَوْا مَا وَعَوْا وَدَعَوْا إِلَىٰ مَا دَعَوْا؟!!

لَقَدْ دَعَوْا قَوْمَهُمْ إِلَىٰ الِاسْتِجَابَةِ لِذَلِكَ الرُّشْدِ الَّذِي يَهْدِي إِلَيْهِ الْقُرْآنُ؛ فَقَالُوا: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

إِنَّ اسْتِمَاعَ الْقُرْآنِ يَتَحَقَّقُ الِانْتِفَاعُ بِهِ عِنْدَمَا تَتَحَقَّقُ شُرُوطُ وُصُولِهِ مِنَ الْأُذُنِ إِلَىٰ الْقَلْبِ، فَالِانْتِفَاعُ بِهِ يَحْتَاجُ حُضُورَ قَلْبِكَ، وَإِنْصَاتَ سَمْعِكَ، وَيَقَظَةَ عَقْلِكَ؛

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

إِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يُحْسِنُوا اسْتِمَاعَ كَلَامِهِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وَهَذَا تَشْرِيفٌ لِتِلْكَ الْأَسْمَاعِ وَتَطْهِيرٌ لَهَا، وَتِلْكَ الْأَسْمَاعُ نَفْسُهَا مِنَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَىٰ امْتِنَانٍ، وَنِعْمَةٌ تَحْتَاجُ الشُّكْرَ وَالْعِرْفَانَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

وَشُكْرُ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ نِعْمَةِ السَّمْعِ تَكُونُ بِقَصْرِهِ عَلَىٰ الْخَيْرِ، وَمَنْعِهِ مِنَ الشَّرِّ، وَرَمَضَانُ مَجَالٌ رَحْبٌ لِتَحْلِيَةِ الْأَسْمَاعِ بِالطَّاعَاتِ، وَتَخْلِيَتِهَا عَنِ الْمُخَالَفَاتِ، فَعَلَىٰ السَّمْعِ عُبُودِيَّاتٌ مَخْصُوصَاتٌ تَحَدَّثَ عَنْهَا الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ، فَقَالَ: «وَهِيَ وُجُوبُ الْإِنْصَاتِ وَالِاسْتِمَاعِ لِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِ؛ مِنَ اسْتِمَاعِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَفُرُوضِهِمَا، وَكَذَلِكَ اسْتِمَاعِ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ إِذَا جَهَرَ بِهَا الْإِمَامُ، وَاسْتِمَاعِ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ فِي أَصَحِّ قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ.

وَيَحْرُمُ عَلَيْهِ اسْتِمَاعُ الْكُفْرِ وَالْبِدَعِ، إِلَّا حَيْثُ يَكُونُ فِي اسْتِمَاعِهِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ؛ كَرَدِّهِ، أَوْ كَالشَّهَادَةِ عَلَىٰ قَائِلِهِ، أَوْ زِيَادَةِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ بِمَعْرِفَةِ ضِدِّهِمَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْبِدْعَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمِنَ الْمُحَرَّمِ أَيْضًا: اسْتِمَاعُ أَسْرَارِ مَنْ يَهْرَبُ عَنْكَ بِسِرِّهِ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يُطْلِعَكَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَضَمِّنًا لِحَقٍّ للهِ يَجِبُ الْقِيَامُ بِهِ، أَوْ لِأَذَىٰ مُسْلِمٍ يَتَعَيَّنُ نُصْحُهُ وَتَحْذِيرُهُ مِنْهُ.

وَكَذَلِكَ اسْتِمَاعُ أَصْوَاتِ النِّسَاءِ الَّتِي تُخْشَىٰ الْفِتْنَةُ بِأَصْوَاتِهِنَّ، إِذَا لَمْ تَدْعُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ شَهَادَةٍ، أَوْ مُعَامَلَةٍ، أَوِ اسْتِفْتَاءٍ، أَوْ مُحَاكَمَةٍ، أَوْ مُدَاوَاةٍ وَنَحْوِهَا.

وَكَذَلِكَ اسْتِمَاعُ الْمَعَازِفِ، وَآلَاتِ الطَّرَبِ وَاللَّهْوِ؛ كَالْعُودِ وَالطُّنْبُورِ وَنَحْوِهَا، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ سَدُّ أُذُنِهِ إِذَا سَمِعَ الصَّوْتَ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ سَمَاعَهُ، إِلَّا إِذَا خَافَ السُّكُونَ إِلَيْهِ وَالْإِنْصَاتَ بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ؛ فَحِينَئِذٍ يَجِبُ تَجَنُّبُ سَمَاعِهَا وُجُوبَ سَدِّ الذَّرَائِعِ.

وَأَمَّا السَّمْعُ الْمُسْتَحَبُّ فَكَاسْتِمَاعِ الْمُسْتَحَبِّ مِنَ الْعِلْمِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللهِ، وَاسْتِمَاعِ كُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَلَيْسَ بِفَرْضٍ، وَالْمَكْرُوهُ عَكْسُهُ، وَهُوَ اسْتِمَاعُ كُلِّ مَا يُكْرَهُ وَلَا يُعَاقَبُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الْمُبَاحُ فَأَمْرُهُ ظَاهِرٌ»(١).

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ فِي رَمَضَانَ أَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ وَأَنْ يَشْغَلَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ فِيمَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُ، وَمَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِالْفَائِدَةِ وَالْعَائِدَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ الْعُمُرَ أَنْفَاسٌ كُلَّمَا خَرَجَ نَفَسٌ اقْتَرَبَ الْمَرْءُ مِنَ النِّهَايَةِ نَفَسًا، وَإِنَّمَا هِيَ أَنْفَاسٌ مَعْدُودَاتٌ، هِيَ نِهَائِيَّةٌ وَلَيْسَتْ بِلَا نِهَائِيَّةٍ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ عِنْدَمَا يَأْذَنُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَذَلِكَ غَيْبٌ مَحْجُوبٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ وَسِتِّيرُ الْعُيُوبِ.(*).

❀❀❀

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ١٣٦.. والتي تليها).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «مَجَالِسُ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ» - الِاثْنَيْنِ ٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ٢١-٥-٢٠١٨م.

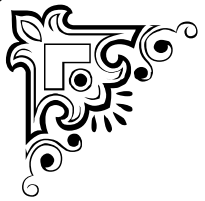

الْحَثُّ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ

إِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ يَنْبَغِي أَلَّا تَقِفَ عِنْدَ حُدُودِ التِّلَاوَةِ دُونَ فَهْمٍ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَمَقَاصِدِهِ وَغَايَاتِهِ، وَتَأَمُّلٍ لِجَوَانِبِ عَظَمَتِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

«يَأْمُرُ -تَعَالَىٰ- بِتَدَبُّرِ كِتَابِهِ، وَهُوَ التَّأَمُّلُ فِي مَعَانِيهِ، وَتَحْدِيقُ الْفِكْرِ فِيهِ، وَفِي مَبَادِئِهِ وَعَوَاقِبِهِ، وَلَوَازِمِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ فِي تَدَبُّرِ كِتَابِ اللهِ مِفْتَاحًا لِلْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، وَبِهِ يُسْتَنْتَجُ كُلُّ خَيْرٍ، وَتُسْتَخْرَجُ مِنْهُ جَمِيعُ الْعُلُومِ، وَبِهِ يَزْدَادُ الْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ وَتَرْسَخُ شَجَرَتُهُ؛ فَإِنَّهُ يُعَرِّفُ بِالرَّبِّ الْمَعْبُودِ، وَمَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمَا يُنَزَّهُ عَنْهُ مِنْ سِمَاتِ النَّقْصِ، وَيُعَرِّفُ الطَّرِيقَ الْمُوَصِّلَةَ إِلَيْهِ وَصِفَةَ أَهْلِهَا، وَمَا لَهُمْ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَيُعَرِّفُ الْعَدُوَّ الَّذِي هُوَ الْعَدُوُّ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، وَالطَّرِيقَ الْمُوَصِّلَةَ إِلَىٰ الْعَذَابِ، وَصِفَةَ أَهْلِهَا، وَمَا لَهُمْ عِنْدَ وُجُودِ أَسْبَابِ الْعِقَابِ.

وَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ تَأَمُّلًا فِيهِ ازْدَادَ عِلْمًا وَعَمَلًا وَبَصِيرَةً؛ لِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ بِذَلِكَ، وَحَثَّ عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وَمِنْ فَوَائِدِ التَّدَبُّرِ لِكِتَابِ اللهِ: أَنَّهُ بِذَلِكَ يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَىٰ دَرَجَةِ الْيَقِينِ وَالْعِلْمِ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ؛ لِأَنَّهُ يَرَاهُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُوَافِقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَتَرَىٰ الْحِكَمَ وَالْقِصَّةَ وَالْإِخْبَارَاتِ تُعَادُ فِي الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، كُلُّهَا مُتَوَافِقَةٌ مُتَصَادِقَةٌ، لَا يَنْقُضُ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ فَبِذَلِكَ يُعْلَمُ كَمَالُ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] أَيْ: فَلَمَّا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ اخْتِلَافٌ أَصْلًا»[1].

وَجَوَانِبُ الْعَظَمَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى؛ فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ الَّذِي لَا يَنَالُهُ التَّحْرِيفُ، وَلَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

«﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَفِي أَحْكَامِ الدَّارَيْنِ، وَكُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ فَهُوَ مُبَيَّنٌ فِيهِ أَتَمَّ تَبْيِينٍ بِأَلْفَاظٍ وَاضِحَةٍ وَمَعَانٍ جَلِيَّةٍ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- يُثَنِّي فِيهِ الْأُمُورَ الْكِبَارَ الَّتِي يَحْتَاجُ الْقَلْبُ لِمُرُورِهَا عَلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ، وَإِعَادَتِهَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَيُعِيدُهَا وَيُبْدِيهَا بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَدِلَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ؛ لِتَسْتَقِرَّ فِي الْقُلُوبِ فَتُثْمِرَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ بِحَسَبِ ثُبُوتِهَا فِي الْقَلْبِ، وَحَتَّىٰ إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- يَجْمَعُ فِي اللَّفْظِ الْقَلِيلِ الْوَاضِحِ مَعَانِيَ كَثِيرَةً يَكُونُ اللَّفْظُ لَهَا كَالْقَاعِدَةِ وَالْأَسَاسِ.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٨٩).

فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ؛ صَارَ حُجَّةَ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ، فَانْقَطَعَتْ بِهِ حُجَّةُ الظَّالِمِينَ، وَانْتَفَعَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، فَصَارَ هُدًىٰ لَهُمْ يَهْتَدُونَ بِهِ إِلَىٰ أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَرَحْمَةً يَنَالُونَ بِهِ كُلَّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَالْهُدَىٰ مَا نَالُوا بِهِ مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ، وَالرَّحْمَةُ مَا تَرَتَّبَ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ ثَوَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ كَصَلَاحِ الْقَلْبِ وَبِرِّهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ، وَتَمَامِ الْعَقْلِ الَّذِي لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَرْبِيَتِهِ عَلَىٰ مَعَانِيهِ الَّتِي هِيَ أَجَلُّ الْمَعَانِي وَأَعْلَاهَا، وَالْأَعْمَالِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَالرِّزْقِ الْوَاسِعِ، وَالنَّصْرِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَنَيْلِ رِضَا اللهِ -تَعَالَىٰ- وَكَرَامَتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ مَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ إِلَّا الرَّبُّ الرَّحِيمُ»(١).

إِنَّ الْمَعْنَىٰ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَظَلَّ عَالِقًا فِي الذِّهْنِ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ وَفِي غَيْرِ رَمَضَانَ؛ هُوَ أَنْ نُوقِنَ بِأَنَّ التَّدَبُّرَ وَتَفَهُّمَ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ هُوَ مَقْصُودُ التِّلَاوَةِ؛ لِذَلِكَ جَعَلَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ أَوَّلَ سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَشْرَةِ الْمُوجِبَةِ لِمَحَبَّةِ اللهِ: «قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ لِمَعَانِيهِ وَمَا أُرِيدَ بِهِ كَتَدَبُّرِ الْكِتَابِ الَّذِي يَحْفَظُهُ الْعَبْدُ وَيَشْرَحُهُ لِيَتَفَهَّمَ مُرَادَ صَاحِبِهِ مِنْهُ»(٢).

وَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوُا الْقُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ، فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيَتَفَقَّدُونَهَا فِي النَّهَارِ»(٣).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٤٦).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ١٨) ط. دار الكتاب، بيروت.

(٣) «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي (ص٥٤).

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «يَنْبَغِي لِتَالِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ أَنْ يَنْظُرَ كَيْفَ لَطَفَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِخَلْقِهِ فِي إِيصَالِ مَعَانِي كَلَامِهِ إِلَىٰ أَفْهَامِهِمْ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا يَقْرَأُهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ، وَأَنْ يَسْتَحْضِرَ عَظَمَةَ الْمُتَكَلِّمِ -سُبْحَانَهُ-، وَيَتَدَبَّرَ كَلَامَهُ»(١).

لِذَلِكَ فَإِنَّ مِنَّةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ظَاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ أَنْ أَذِنَ لِمَخْلُوقَاتٍ ضَعِيفَةٍ مِثْلِنَا أَنْ تُنَاجِيَهُ، وَتَبْحَثَ فِي كِتَابِهِ وَكَلَامِهِ، وَتَتَدَبَّرَ مَعَانِيَهُ.

قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللهُ: «قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ كَرَامَةٌ أَكْرَمَ اللهُ بِهَا الْبَشَرَ؛ فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ يُعْطَوْا ذَلِكَ، وَأَنَّهَا حَرِيصَةٌ -يَعْنِي: الْمَلَائِكَةَ- عَلَىٰ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ مِنَ الْإِنْسِ»(٢).

وَمَعَ امْتِنَانِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ عِبَادِهِ بِالْإِذْنِ فِي مُنَاجَاتِهِ، وَالنَّظَرِ فِي كَلِمَاتِهِ؛ فَقَدِ امْتَنَّ عَلَيْهِمْ -أَيْضًا- أَنْ أَعْطَاهُمْ أَعْظَمَ الْمَنَازِلِ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].(*).

❀❀❀

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص٥٣).

(٢) «فتاوىٰ ابن الصلاح» (ص٢٣٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ١٨-٥-٢٠١٨م.

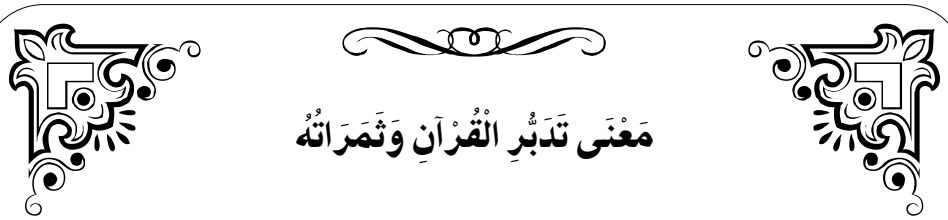

مَعْنَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَثَمَرَاتُهُ

لِلْقُرْآنِ بِرَمَضَانَ مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ؛ فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَلِنُزُولِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ أَوْجَبَ اللهُ -تَعَالَىٰ- صِيَامَهُ.

وَلِلنَّبِيِّ ﷺ بِالْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ مَزِيدُ عِنَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، وَمَوْصُولُ تَدَارُسٍ وَتَدَبُّرٍ.

وَلِلْمُسْلِمِ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ؛ لِأَنَّ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ أَصْلُ صَلَاحِ الْقَلْبِ، وَفَلَاحِهِ، وَثَبَاتِهِ.

وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ فِي تَثْبِيتِ قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، وَإِرْسَاءِ دَعَائِمِهِ؛ «لِأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِتَدَبُّرِ كِتَابِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ، وَالِاهْتِدَاءِ بِآيَاتِهِ، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ الْقَائِمِينَ بِذَلِكَ، وَجَعَلَهُمْ فِي أَعْلَىٰ الْمَرَاتِبِ، وَوَعَدَهُمْ أَسْنَىٰ الْمَوَاهِبِ.

فَلَوْ أَنْفَقَ الْعَبْدُ جَوَاهِرَ عُمُرِهِ فِي هَذَا التَّدَبُّرِ؛ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَثِيرًا فِي جَنْبِ مَا هُوَ أَفْضَلُ الْمَطَالِبِ، وَأَعْظَمُ الْمَقَاصِدِ، وَأَصْلُ الْأُصُولِ كُلِّهَا، وَقَاعِدَةُ أَسَاسِ السَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ، وَصَلَاحُ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَتْ حَيَاةُ الْعَبْدِ زَاهِرَةً بِالْهُدَىٰ وَالْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ، وَطِيبِ الْحَيَاةِ، وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ»[1].

---

(١) «**القواعد الحسان لتفسير القرآن**» ضمن مجموع مؤلفات السعدي: المقدمة، (٣/ ٣٣٥).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-[١]: «لَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَىٰ نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَىٰ مَعَانِي آيَاتِهِ.

فَإِنَّهَا تُطْلِعُ الْعَبْدَ عَلَىٰ مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَذَافِيرِهِمَا، وَعَلَىٰ طُرُقَاتِهِمَا، وَأَسْبَابِهِمَا، وَغَايَاتِهِمَا، وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَآلِ أَهْلِهِمَا، وَتَتُلُّ فِي يَدِهِ -أَيْ: تَجْعَلُ مُسْتَقِرًّا فِي يَدِهِ- مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ.

وَتُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشَيِّدُ بُنْيَانَهُ، وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ[٢]، وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ، وَتُحْضِرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتُرِيهِ أَيَّامَ اللهِ فِيهِمْ.

وَتُبَصِّرُهُ مَوَاقِعَ الْعِبَرِ، وَتُشْهِدُهُ عَدْلَ اللهِ وَفَضْلَهُ، وَتُعَرِّفُهُ ذَاتَهُ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ الْمُوصِلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَقَوَاطِعَ الطَّرِيقِ وَآفَاتِهَا.

وَتُعَرِّفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا، وَمُفْسِدَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا، وَتُعَرِّفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَأَعْمَالَهُمْ، وَأَحْوَالَهُمْ، وَسِيمَاهُمْ، وَمَرَاتِبَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَقْسَامَ الْخَلْقِ، وَاجْتِمَاعَهُمْ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَافْتِرَاقَهُمْ فِيمَا يَفْتَرِقُونَ فِيهِ.

---

(١) «**مدارج السالكين**»: (١/ ٤٥٠).

(٢) «تُوَطِّدُ»، أَي: تُثَبِّتُ.

انظر «**لسان العرب**»: (٣/ ٤٦١، مادة: وطد).

وَفِي تَأَمُّلِ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ وَتَفَهُّمِهِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا ذُكِرَ مِنَ الْحِكَمِ وَالْفَوَائِدِ.

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَهُوَ أَعْظَمُ الْكُنُوزِ، طِلَّسْمُهُ -أَيِ: الْمُزِيلُ لِغُمُوضِهِ، الْمُوَضِّحُ لِمَعَانِيهِ، الْمُفَسِّرُ لِمُبْهَمِهِ- الْغَوْصُ بِالْفِكْرِ إِلَىٰ قَرَارِ مَعَانِيهِ».

فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الْهُدَىٰ ... فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ[1]

«وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لِلْقَلْبِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ؛ فَإِنَّهُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ، وَأَحْوَالِ الْعَامِلِينَ، وَمَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ، وَهُوَ الَّذِي يُورِثُ الْمَحَبَّةَ وَالشَّوْقَ، وَالْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ، وَالْإِنَابَةَ وَالتَّوَكُّلَ، وَالرِّضَا وَالتَّفْوِيضَ، وَالشُّكْرَ وَالصَّبْرَ، وَسَائِرَ الْأَحْوَالِ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ وَكَمَالُهُ، وَكَذَلِكَ يَزْجُرُ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي بِهَا فَسَادُ الْقَلْبِ وَهَلَاكُهُ.

فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ؛ لَاشْتَغَلُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا، فَإِذَا قَرَأَهُ بِتَفَكُّرٍ حَتَّىٰ مَرَّ بِآيَةٍ هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا فِي شِفَاءِ قَلْبِهِ؛ كَرَّرَهَا وَلَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَلَوْ لَيْلَةً كَامِلَةً؛ فَقِرَاءَةُ آيَةٍ بِتَفَكُّرٍ وَتَفَهُّمٍ خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَةِ خَتْمَةٍ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ، وَأَنْفَعُ لِلْقَلْبِ، وَأَدْعَىٰ إِلَىٰ حُصُولِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ.

---

(١) البيت لشمس الدين محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية (المتوفي سنة ٧٥١هـ)، في «**الكافية الشافية**»: فصل في التفريق بين الخلق والأمر، (ص٤٩)، وهي نونيته المشهورة.

وَهَذِهِ كَانَتْ عَادَةَ السَّلَفِ، يُرَدِّدُ أَحَدُهُمُ الْآيَةَ إِلَىٰ الصَّبَاحِ(١)، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ: «**قَامَ بِآيَةٍ يُرَدِّدُهَا حَتَّىٰ الصَّبَاحِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾ [المائدة: ١١٨]»(٢). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَه عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ بِشَوَاهِدِهِ.

---

(١) أخرج ابن المبارك في «**الزهد**»: (ص٣١، رقم٩٤)، ووكيع في «**الزهد**»: (ص٣٨٨-٣٨٩، رقم١٥٠ و١٥١)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في «**فضائل القرآن**»: (ص١٤٥)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (٢/ ٤٧٧)، والمروزي في قيام الليل (اختصار المقريزي: ص١٤٩)، بإسناد قوي: أن تميما الداري قرأ سورة الجاثية، فلما أتىٰ هذه الآية بكىٰ ﴿**أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ**﴾ [**الجاثية**: ٢١] فجعل يرددها ويبكي حتىٰ أصبح.

وفي رواية: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾.

وجاء ذلك أيضا عن عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن الزبير، وعن أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وعن سعيد بن جبير والحسن بن أبي الحسن يسار البصري، وعَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ، والربيع بن خثيم، وهارون بن رباب الأسيدي، والحسن بن حيي، نحوه.

انظر: قيام الليل للمروزي (اختصار المقريزي: ص١٤٨-١٥١)، و«**نتائج الأفكار**» لابن حجر: (٣/ ١٩١).

(٢) أخرجه النسائي في «المجتبىٰ»: كتاب الافتتاح: ترديد الآية، (١٠١٠)، وابن ماجه في «**السنن**»: كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل، (١٣٥٠)، من حديث: أبي ذر رضي الله عنه.

وفي رواية -عند أحمد-: قال أبو ذر: صلىٰ رسول الله ﷺ ليلة فقرأ بآية حتىٰ أصبح، يركع بها ويسجد بها: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾، فلما أصبح،

فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّفَكُّرِ هِيَ أَصْلُ صَلَاحِ الْقَلْبِ؛ لِهَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: «لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ هَذَّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ».

وَالدَّقَلُ: وَاحِدُهُ دَقَلَةٌ: وَهُوَ رَدِيءُ التَّمْرِ وَيَابِسُهُ، وَمَا لَيْسَ لَهُ اسْمٌ خَاصٌّ؛ فَتَرَاهُ لِيُبْسِهِ وَرَدَاءَتِهِ لَا يَجْتَمِعُ، يَكُونُ مَنْثُورًا.

«لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ هَذَّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، لَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»(١) أَيْ: أَنْ يَخْتِمَهَا فَقَطْ.

=

قلت: يا رسول الله، ما زلت تقرأ هذه الآية حتىٰ أصبحت، تركع بها وتسجد بها قال: «**إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئا**».

والحديث صححه الحاكم (١/ ٢٤١)، وحسن إسناده النووي في «خلاصة الأحكام»: (١/ ٥٩٥/ رقم٢٠٢٧)، وصحح إسناده العراقي في تخريج الإحياء: (٢/ ٧٠٤/ رقم٨٤٦)، والبوصيري في زوائد ابن ماجه (١/ ١٥٩)، وقال الهيثمي في «مجموع الزوائد» (٢/ ٢٧٣) وابن حجر في «نتائج الأفكار» (٣/ ١٩٧): «رجاله ثقات»، وقال الألباني في «صفة الصلاة» (٢/ ٥٣٤): «فالحديث أقل أحواله أنه حسن، وهو صحيح قطعًا بشاهده»، أي: حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: أن رسول الله ﷺ رَدَّدَ آية حتىٰ أصبح.

(١) أخرجه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم في «الآثار»: (ص٤٦، رقم٢٣٢ و٢٣٣)، ومحمد بن الحسن الشيباني في «الآثار»: (ص٢٧٧، رقم٢٦٨)، وسعيد بن منصور في «السنن»: (٢/ ٤٤٤/ رقم١٤٧-التفسير)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (٢/ ٥٢١/ رقم٨٨٢٥) و(١٠/ ٥٢٥/ رقم٣٠٧٨٢)، والمروزي في قيام الليل (اختصار المقريزي: ص١٣٢)، والفريابي في «**فضائل القرآن**»: (ص٢٢٦، رقم١٤٧)، والآجري في «**أخلاق أهل القرآن**»: (ص٣٨، رقم١)، والبيهقي في «**السنن الكبير**»: (٣/ ١٣/ رقم٤٧٧٨)،
=

وَرَوَىٰ أَيُّوبُ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: «إِنِّي سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ، إِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ».

قَالَ: «لَأَنْ أَقْرَأَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ فَأَتَدَبَّرَهَا وَأُرَتِّلَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ كَمَا تَقْرَأُ»(١).

=

وفي «**شعب الإيمان**»: (٣/ ٤٠٧/ رقم١٨٨٤)، بإسناد صحيح، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «لا تهذوا القرآن كهذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب».

وفي رواية -عند أبي يوسف والمروزي والآجري والبيهقي- بلفظ: «اقرءوا القرآن، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة».

وفي رواية -عند الفريابي- بلفظ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز، هذا كهذ الشعر، ونثرا كنثر الدقل».

والرجز: بحر من بحور الشعر معروف ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه مفردا، وتسمىٰ قصائده أراجيز، واحدتها أرجوزة، وهي كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر، ويسمىٰ قائله راجزا كما يسمىٰ قائل بحور الشعر شاعرا، إنما سماه راجزا؛ لأن الرجز أخف علىٰ لسان المنشد.

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في «**فضائل القرآن**»: (ص١٥٧)، والمروزي في قيام الليل (اختصار المقريزي: ص١٤٩)، والآجري في «**أخلاق أهل القرآن**»: «ص١٦٩، رقم٨٩»، والبيهقي في «**السنن الكبير**»: (٢/ ٣٩٦/ رقم٤١١٧)، وفي «**شعب الإيمان**»: (٣/ ٤٠٦/ رقم١٨٨٢)، بإسناد صحيح، عن أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني، عن أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي، قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة... فذكره.

ورواه معمر بن راشد وحماد بن سلمة وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن شوذب، أربعتهم عن أبي جمرة الضبعي، به، بمثله إلا أن في حديث حماد: «أحب إلي من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة»، والهَذْرَمَةُ: السرعة في القراءة.

=

وَالتَّفَكُّرُ فِي الْقُرْآنِ نَوْعَانِ:

* تَفَكُّرٌ فِيهِ لِيَقَعَ عَلَىٰ مُرَادِ الرَّبِّ -تَعَالَىٰ- مِنْهُ.

* وَتَفَكُّرٌ فِي مَعَانِي مَا دَعَا عِبَادَهُ إِلَىٰ التَّفَكُّرِ فِيهِ.

فَالْأَوَّلُ تَفَكُّرٌ فِي الدَّلِيلِ الْقُرْآنِيِّ، وَالثَّانِي تَفَكُّرٌ فِي الدَّلِيلِ الْعِيَانِيِّ.

الْأَوَّلُ تَفَكُّرٌ فِي آيَاتِهِ الْمَسْمُوعَةِ، وَالثَّانِي تَفَكُّرٌ فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُودَةِ؛ وَلِهَذَا أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ لِيُتَدَبَّرَ وَيُتَفَكَّرَ فِيهِ، وَيُعْمَلَ بِهِ، لَا لِمُجَرَّدِ تِلَاوَتِهِ مَعَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[1]: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا!»[2]»[3].

=

ورواه طالوت أَبو سَعِيد القُرَشِيّ، عن ابن عباس، بمثله.

(١) هُوَ شَيْخُ أَهْلِ البَصْرَةِ وسَيِّدَ أَهْلِ زَمَانِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا: الحَسَنُ بنُ أَبِي الحَسَنِ: يَسَارٍ، أَبُو سَعِيْدٍ البصري، ثقة فقيه فاضل مشهور، مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين.

انظر: «سير أعلام النبلاء»: (٤/ ٥٦٣/ ترجمة٢٢٣).

(٢) كذا نسبه إلىٰ الحسن البصري ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن»: (ص ١٤٨) ، وأخرجه الآجري في «أخلاق أهل القرآن»: (ص ١٠٢، رقم ٣٧) ، والخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل»: (ص ٧٥، رقم ١١٦) ، بإسناد صحيح، عن الفضيل بن عياض، من قوله.

(٣) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم: (١/ ٥٣٥-٥٣٧).

«إِذَا أَرَدْتَ الِانْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ؛ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ، وَأَلْقِ سَمْعَكَ، وَاحْضُرْ حُضُورَ مَنْ يُخَاطِبُهُ بِهِ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ -سُبْحَانَهُ- مِنْهُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ خِطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وَذَلِكَ أَنَّ تَمَامَ التَّأْثِيرِ لَمَّا كَانَ مَوْقُوفًا عَلَىٰ مُؤَثِّرٍ مُقْتَضٍ، وَمَحَلٍّ قَابِلٍ، وَشَرْطٍ لِحُصُولِ الْأَثَرِ وَانْتِفَاءِ الْمَانِعِ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْهُ؛ تَضَمَّنَتِ الْآيَةُ بَيَانَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وَأَبْيَنِهِ وَأَدَلِّهِ عَلَىٰ الْمُرَادِ.

فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾: إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَىٰ هَاهُنَا، وَهَذَا هُوَ الْمُؤَثِّرُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾: هَذَا هُوَ الْمَحَلُّ الْقَابِلُ، وَالْمُرَادُ بِهِ: الْقَلْبُ الْحَيُّ الَّذِي يَعْقِلُ عَنِ اللهِ ﷻ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٦٩ - ٧٠]، أَيْ: حَيَّ الْقَلْبِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أَيْ: وَجَّهَ سَمْعَهُ وَأَصْغَىٰ حَاسَّةَ سَمْعِهِ إِلَىٰ مَا يُقَالُ لَهُ، وَهَذَا شَرْطُ التَّأَثُّرِ بِالْكَلَامِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أَيْ: شَاهِدُ الْقَلْبِ، حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبٍ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ(١): «اسْتَمَعَ كِتَابَ اللهِ وَهُوَ شَاهِدُ الْقَلْبِ وَالْفَهْمِ، لَيْسَ بِغَافِلٍ وَلَا سَاهٍ».

وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ الْمَانِعِ مِنْ حُصُولِ التَّأْثِيرِ، وَهُوَ سَهْوُ الْقَلْبِ وَغَيْبَتُهُ عَنْ تَعَقُّلِ مَا يُقَالُ لَهُ، وَالنَّظَرِ فِيهِ، وَتَأَمُّلِهِ، فَإِذَا حَصَلَ الْمُؤَثِّرُ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَالْمَحَلُّ

(١) «غريب القرآن»: (ص٤١٩).

الْقَابِلُ وَهُوَ الْقَلْبُ الْحَيُّ، وَوُجِدُ الشَّرْطُ وَهُوَ الْإِصْغَاءُ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ وَهُوَ اشْتِغَالُ الْقَلْبِ وَذُهُولُهُ عَنْ مَعْنَىٰ الْخِطَابِ، وَانْصِرَافُهُ عَنْهُ إِلَىٰ شَيْءٍ آخَرَ؛ حَصَلَ الْأَثَرُ، وَهُوَ الِانْتِفَاعُ وَالتَّذَكُّرُ»(١).

وَأَمَّا مَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ مَعْدُودٌ فِي هَجْرِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ «هَجْرَ الْقُرْآنِ أَنْوَاعٌ:

أَحَدُهَا: هَجْرُ سَمَاعِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ.

وَالثَّانِي: هَجْرُ الْعَمَلِ بِهِ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ؛ وَإِنْ قَرَأَهُ وَآمَنَ بِهِ.

وَالثَّالِثُ مِنْ أَنْوَاعِ هَجْرِ الْقُرْآنِ: هَجْرُ تَحْكِيمِهِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَاعْتِقَادُ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ الْيَقِينَ، وَأَنَّ أَدِلَّتَهُ لَفْظِيَّةٌ لَا تُحَصِّلُ الْعِلْمَ.

وَالرَّابِعُ: هَجْرُ تَدَبُّرِهِ وَتَفَهُّمِهِ، وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ مِنْهُ.

وَالْخَامِسُ: هَجْرُ الِاسْتِشْفَاءِ وَالتَّدَاوِي بِهِ فِي جَمِيعِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَأَدْوَائِهَا، فَيَطْلُبُ شِفَاءَ دَائِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَهْجُرُ التَّدَاوِيَ بِهِ!!

وَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْهَجْرِ أَهْوَنَ مِنْ بَعْضٍ، وَكَذَلِكَ الْحَرَجُ الَّذِي فِي الصُّدُورِ مِنْهُ(٢)؛ فَإِنَّهُ تَارَةً يَكُونُ حَرَجًا مِنْ إِنْزَالِهِ وَكَوْنِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِ اللهِ،

---

(١) «**الفوائد**» لابن القيم: (ص٣).

(٢) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]، أي: شك، وأصل الحرج: الضيق، والشاك في الأمر يضيق صدرا؛ لأنه لا يعلم حقيقته، فسمىٰ الشك حرجا.

وَتَارَةً يَكُونُ مِنْ جِهَةِ التَّكَلُّمِ بِهِ، وَمِنْ كَوْنِهِ مَخْلُوقًا مِنْ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ أَلْهَمَ غَيْرَهُ أَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَتَارَةً يَكُونُ مِنْ جِهَةِ كِفَايَتِهِ وَعَدَمِهَا، وَأَنَّهُ لَا يَكْفِي الْعِبَادَ، بَلْ هُمْ مُحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَىٰ الْمَعْقُولَاتِ وَالْأَقْيِسَةِ أَوِ الْآرَاءِ أَوِ السِّيَاسَاتِ، وَتَارَةً يَكُونُ مِنْ جِهَةِ دَلَالَتِهِ وَمَا أُرِيدَ بِهِ حَقَائِقُهُ الْمَفْهُومَةُ مِنْهُ عِنْدَ الْخِطَابِ، أَوْ أُرِيدَ بِهِ تَأْوِيلُهَا وَإِخْرَاجُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا إِلَىٰ تَأْوِيلَاتٍ مُسْتَكْرَهَةٍ مُشْتَرَكَةٍ، وَتَارَةً يَكُونُ مِنْ جِهَةِ كَوْنِ تِلْكَ الْحَقَائِقِ وَإِنْ كَانَتْ مُرَادَةً فَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، أَوْ أَوْهَمَ أَنَّهَا مُرَادَةٌ لِضَرْبٍ مِنَ الْمَصْلَحَةِ؛ فَكُلُّ هَؤُلَاءِ فِي صُدُورِهِمْ حَرَجٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ مِنْ نُفُوسِهِمْ، وَيَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، وَلَا تَجِدُ مُبْتَدِعًا فِي دِينِهِ قَطُّ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تُخَالِفُ بِدْعَتَهُ، كَمَا أَنَّكَ لَا تَجِدُ ظَالِمًا فَاجِرًا إِلَّا وَفِي صَدْرِهِ حَرَجٌ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِرَادَتِهِ؛ فَتَدَبَّرْ هَذَا الْمَعْنَىٰ، ثُمَّ ارْضَ لِنَفْسِكَ بِمَا تَشَاءُ!»[1].

«تَأَمَّلْ خِطَابَ الْقُرْآنِ تَجِدْ مَلِكًا لَهُ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، أَزِمَّةُ الْأُمُورِ كُلُّهَا بِيَدِهِ، وَمَصْدَرُهَا مِنْهُ، وَمَرَدُّهَا إِلَيْهِ، مُسْتَوِيًا عَلَىٰ سَرِيرِ مُلْكِهِ، لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي أَقْطَارِ مَمْلَكَتِهِ، عَالِمًا بِمَا فِي نُفُوسِ عَبِيدِهِ، مُطَّلِعًا عَلَىٰ إِسْرَارِهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ، مُنْفَرِدًا بِتَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ، يَسْمَعُ وَيَرَىٰ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَيُكْرِمُ وَيُهِينُ، وَيَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُقَدِّرُ وَيَقْضِي وَيُدَبِّرُ.

الْأُمُورُ نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِهِ دَقِيقُهَا وَجَلِيلُهَا، وَصَاعِدَةٌ إِلَيْهِ، لَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَسْقُطُ وَرَقَةٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ.

---

(١) «الفوائد»: (ص٨٢).

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ تَجِدُهُ يُثْنِي عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَيُمَجِّدُ نَفْسَهُ، وَيَحْمَدُ نَفْسَهُ، وَيَنْصَحُ عِبَادَهُ، وَيَدُلُّهُمْ عَلَىٰ مَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ وَفَلَاحُهُمْ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِمَّا فِيهِ هَلَاكُهُمْ، وَيَتَعَرَّفُ إِلَيْهِمْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيَتَحَبَّبُ إِلَيْهِمْ بِنِعَمِهِ وَآلَائِهِ؛ فَيُذَكِّرُهُمْ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِمَا يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ تَمَامَهَا، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ نِقَمِهِ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ إِنْ أَطَاعُوهُ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ إِنْ عَصَوْهُ، وَيُخْبِرُهُمْ بِصُنْعِهِ فِي أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، وَكَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَيُثْنِي عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ، وَأَحْسَنِ أَوْصَافِهِمْ، وَيَذُمُّ أَعْدَاءَهُ بِسَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ، وَقَبِيحِ صِفَاتِهِمْ.

وَيَضْرِبُ الْأَمْثَالَ، وَيُنَوِّعُ الْأَدِلَّةَ وَالْبَرَاهِينَ، وَيُجِيبُ عَنْ شُبَهِ أَعْدَائِهِ أَحْسَنَ الْأَجْوِبَةِ، وَيُصَدِّقُ الصَّادِقَ، وَيُكَذِّبُ الْكَاذِبَ، وَيَقُولُ الْحَقَّ، وَيَهْدِي السَّبِيلَ، وَيَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ، وَيَذْكُرُ أَوْصَافَهَا وَحُسْنَهَا وَنَعِيمَهَا، وَيُحَذِّرُ مِنْ دَارِ الْبَوَارِ، وَيَذْكُرُ عَذَابَهَا وَقُبْحَهَا وَآلَامَهَا، وَيُذَكِّرُ عِبَادَهُ فَقْرَهُمْ إِلَيْهِ وَشِدَّةَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَأَنَّهُمْ لَا غِنَىٰ لَهُمْ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَيَذْكُرُ غِنَاهُ عَنْهُمْ وَعَنْ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَأَنَّهُ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ بِذَاتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَنَالُ أَحَدٌ ذَرَّةً مِنَ الْخَيْرِ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا ذَرَّةً مِنَ الشَّرِّ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ.

وَيَشْهَدُ مِنْ خِطَابِهِ عِتَابَهُ لِأَحْبَابِهِ أَلْطَفَ عِتَابٍ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مُقِيلُ عَثَرَاتِهِمْ، وَغَافِرُ زَلَّاتِهِمْ، وَمُقِيمُ أَعْذَارَهُمْ، وَمُصْلِحُ فَسَادَهُمْ، وَالدَّافِعُ عَنْهُمْ،

وَالْمُحَامِي عَنْهُمْ، وَالنَّاصِرُ لَهُمْ، وَالْكَفِيلُ بِمَصَالِحِهِمْ، وَالْمُنْجِي لَهُمْ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ، وَالْمُوفِي لَهُمْ بِوَعْدِهِ، وَأَنَّهُ وَلِيُّهُمُ الَّذِي لَا وَلِيَّ لَهُمْ سِوَاهُ؛ فَهُوَ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ، وَنَصِيرُهُمْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ؛ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

فَإِذَا شَهِدَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْقُرْآنِ مَلِكًا عَظِيمًا رَحِيمًا جَوَادًا جَمِيلًا هَذَا شَأْنُهُ؛ فَكَيْفَ لَا تُحِبُّهُ، وَتُنَافِسُ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ، وَتُنْفِقُ أَنْفَاسَهَا فِي التَّوَدُّدِ إِلَيْهِ، وَيَكُونُ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَرِضَاهُ آثَرَ عِنْدَهَا مِنْ رِضَا كُلِّ مَا عَدَاهُ؟! وَكَيْفَ لَا تَلْهَجُ بِذِكْرِهِ، وَيَصِيرُ حُبُّهُ وَالشَّوْقُ إِلَيْهِ وَالْأُنْسُ بِهِ غِذَاءَهَا وَقُوتَهَا وَدَوَاءَهَا؛ بِحَيْثُ إِنْ فَقَدَتْ ذَلِكَ فَسَدَتْ وَهَلَكَتْ، وَلَمْ تَنْتَفِعْ بِحَيَاتِهَا؟!»[1].

لَقَدْ قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي سُورَةِ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١] مَا دَلَّنَا عَلَىٰ عَظِيمِ مَا خَلَقَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَجَائِبِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَوْتَ وَعَظِيمَ شَأْنِهِ، وَذَكَرَ النَّارَ وَعَظِيمَ شَأْنِهَا، وَذَكَرَ الْجَنَّةَ وَمَا أَعَدَّ فِيهَا لِأَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ [ق: ٣٥]، إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧]، فَأَخْبَرَ -جَلَّ ذِكْرُهُ- أَنَّ الْمُسْتَمِعَ بِأُذُنَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُشَاهِدًا بِقَلْبِهِ مَا يَتْلُو وَمَا يَسْمَعُ؛ لِيَنْتَفِعَ بِتِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ وَبِالِاسْتِمَاعِ مِمَّنْ يَتْلُوهُ، ثُمَّ

(١) «الفوائد»: (ص٢٨-٢٩).

إِنَّ اللهَ ﷻ حَثَّ خَلْقَهُ عَلَىٰ أَنْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

أَلَا تَرَوْنَ -رَحِمَكُمُ اللهُ- إِلَىٰ مَوْلَاكُمُ الْكَرِيمِ كَيْفَ يَحُثُّ خَلْقَهُ عَلَىٰ أَنْ يَتَدَبَّرُوا كَلَامَهُ، وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلَامَهُ عَرَفَ الرَّبَّ ﷻ، وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعَرَفَ عَظِيمَ تَفَضُّلِهِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ؛ فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ، فَحَذِرَ مِمَّا حَذَّرَهُ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ، وَرَغَّبَ فِيمَا رَغَّبَهُ فِيهِ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَعِنْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنْ غَيْرِهِ؛ كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً؛ فَاسْتَغْنَىٰ بِلَا مَالٍ، وَعَزَّ بِلَا عَشِيرَةٍ، وَأَنِسَ بِمَا يَسْتَوْحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَكَانَ هَمُّهُ عِنْدَ التِّلَاوَةِ لِلسُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا: مَتَىٰ أَتَّعِظُ بِمَا أَتْلُو؟ وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ: مَتَىٰ أَخْتُمُ السُّورَةَ؟! وَإِنَّمَا مُرَادُهُ: مَتَىٰ أَعْقِلُ عَنِ اللهِ الْخِطَابَ؟ مَتَىٰ أَزْدَجِرُ؟ مَتَىٰ أَعْتَبِرُ؟ لِأَنَّ تِلَاوَتَهُ لِلْقُرْآنِ عِبَادَةٌ، وَالْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ بِغَفْلَةٍ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ **قَالَ**: «لَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ[1]، وَلَا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»[2].

---

(١) «**الدَّقْل**»: رديء التمر ويابسه.

(٢) تقدم تخريجه.

وَقَالَ الْحَسَنُ: «الْزَمُوا كِتَابَ اللهِ ﷻ، وَتَتَبَّعُوا مَا فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ، وَكُونُوا فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرِ، ثُمَّ قَالَ: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا عَرَضَ نَفْسَهُ وَعَمَلَهُ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ، فَإِنْ وَافَقَ كِتَابَ اللهِ؛ حَمِدَ اللهَ وَسَأَلَهُ الزِّيَادَةَ، وَإِنْ خَالَفَ كِتَابَ اللهِ؛ أَعْتَبَ نَفْسَهُ، وَرَجَعَ مِنْ قَرِيبٍ»(١).

وَعَنْ أَبِي كِنَانَةَ، أَنَّ أَبَا مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيَّ جَمَعَ الَّذِينَ قَرَؤُوا الْقُرْآنَ -وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةٍ-، فَعَظَّمَ الْقُرْآنَ، وَقَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ ذُخْرًا -أَيْ: ثَوَابًا مُدَّخَرًا-، وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْرًا؛ فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَتَّبِعْكُمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَىٰ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ زَجَّ فِي قَفَاهُ، فَقَذَفَهُ فِي النَّارِ»(٢).

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ -أَيْ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ حَالَهُ: هَلْ هُوَ مِنَ الصَّالِحِينَ، أَمْ مِنَ الطَّالِحِينَ-؛ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَىٰ الْقُرْآنِ»(٣).

---

(١) «**أخلاق أهل القرآن**»: (ص٣٩، رقم٢)، وإسناده صحيح.

(٢) «**أخلاق أهل القرآن**»: (ص٤٠، رقم٣)، وأخرجه أيضا أبو عبيد القاسم بن سلام في «**غريب الحديث**»: (٥/ ١٩٥/ رقم٨٣٥)، وفي «**فضائل القرآن**»: (ص٨١ و٨٢)، وسعيد بن منصور في «**السنن**»: (١/ ٤٩/ رقم٨-تفسير)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (١٠/ ٤٨٤/ رقم٣٠٦٣٦) و(١٣/ ٣٨٦/ رقم٣٥٩٦٧)، والدارمي في «**المسند**»: (٤/ ٢٠٩٦/ رقم٣٣٧١)، وابن الضريس في «**فضائل القرآن**»: (ص٤٨، رقم٦٧)، والفريابي في «**فضائل القرآن**»: (ص١٢٨، رقم٢٢)، بإسناد صحيح، عن أبي كنانة القرشي، به.

(٣) «**أخلاق أهل القرآن**»: (ص٤١، رقم٤)، وأخرجه أيضا ابن المبارك في «**الزهد**» رواية الحسين المروزي: (ص١٣، رقم٣٧)، وإسماعيل بن القاسم أبو القاسم الحلبي في حديثه (٩-مخطوط)، بإسناد صحيح.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ﷻ: «﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]: قَالَ: يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ»(١)»(٢).

فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَ الْقُرْآنِ؛ خَاصَّةً فِي الشَّهْرِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِيهِ الْقُرْآنَ؛ وَإِلَّا مَا اسْتَفَدْنَا مِنْهُ مَا نَرْجُوهُ، وَمَا حَقَّقْنَا مِنْهُ مَا نَطْلُبُهُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.(*).

❀❀❀

(١) «**أخلاق أهل القرآن**»: (ص٤٢ و١٠٠، رقم٥ و٣٥)، وأخرجه أيضا ابن المبارك في «**الزهد**» رواية الحسين المروزي: (ص٢٧٣، رقم٧٩٢)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في «**فضائل القرآن**»: (ص١٣١)، وسعيد بن منصور «**السنن**»: (٢/ ٦٠٥/ رقم٢١١- تفسير)، وأبو نصر المروزي في «**تعظيم قدر الصلاة**»: (١/ ٣٩٦-٣٩٧/ رقم٣٨٤ و٣٨٥ و٣٨٧)، وابن جرير الطبري في «**جامع البيان**»: (١/ ٥٢٠) و(١٢/ ١٧)، وعبد الرحمن ابن الحسن الهمداني في «**تفسير مجاهد**»: (ص٢١٢)، وأبو طاهر المخَلِّص في المخلصيات: (انتقاء ابن أبي الفوارس: ١/ ٣٠٥/ رقم٤٦٦)، بإسناد صحيح.

وفي رواية عنه أنه قال: «يتبعونه حق اتباعه».

(٢) «**أخلاق أهل القرآن**» للآجري: (ص٣٥-٤٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةِ: «شَأْنُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَة ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨هـ - ١٦-٦-٢٠١٧م.

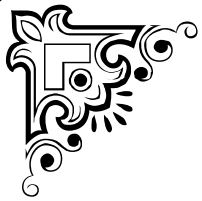

قُوَّةُ تَأْثِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِنَّ مِنْ جَوَانِبِ الْعَظَمَةِ فِي الْقُرْآنِ: قُوَّةَ تَأْثِيرِهِ عَلَى كُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

لَوْ أَنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ تَكْلِيفًا وَتِلَاوَةً عَلَىٰ جَبَلٍ فِي وُعُورَتِهِ وَقَسْوَتِهِ وَصَلَادَتِهِ وَصَلَابَتِهِ، فِي حُزُونَتِهِ وَسُمُوقِهِ وَارْتِفَاعِهِ وَثَبَاتِهِ، لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ﷺ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ؛ وَلَكِنْ أَنْعَمَ اللهُ جَلَّوَعَلَا عَلَيْكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ بِأَنْ ثَبَّتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتَلَقُّونَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، ثُمَّ زَادَ فِي الْإِنْعَامِ عَلَيْكُمْ فَيَسَّرَهُ لَكُمْ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْهُ حَرْفًا.

لِأَنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا ذَكَّرَنَا بِالْإِنْعَامِ عَلَيْنَا وَاصْطِفَائِنَا، فَقَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا إِنَّ ظَالِمَنَا الَّذِي يَظْلِمُ نَفْسَهُ هُوَ مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ جَلَّوَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ.

فَمَا تَقُولُ فِي أُمَّةٍ ظَالِمُهَا مِمَّنِ اصْطَفَاهُ اللهُ جَلَّوَعَلَا؟!

يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ تَتَفَاعَلُ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ(*)، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(٢) بِسَنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، لَمَّا أَوْفَدَتْهُ قُرَيْشٌ لِيُكَلِّمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي أُسَارَىٰ بَدْرٍ، فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَوَافَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ بِأَصْحَابِهِ، يَقْرَأُ سُورَةَ الطُّورِ، قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، وَقَالَ رضي الله عنه: فَسَمِعْتُ قَوْلَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، قَالَ: فَكَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ».

وَفِي رِوَايَةٍ(٣): «فَذَلِكَ حِينَ دَخَلَ الْإِسْلَامُ قَلْبِي»، لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ.(*/٢).

وَهَذَا أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ رضي الله عنه فِي مِرْبَدِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ -وَالْمِرْبَدُ: هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يُيَبَّسُ فِيهِ التَّمْرُ وَيُجَفَّفُ-، فَأُسَيْدٌ رضي الله عنه فِي مِرْبَدِهِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ بِشَطَنٍ -أَيْ: بِحَبْلٍ- هُنَالِكَ، وَعِنْدَهَا وَلَدُهُ يَحْيَىٰ.

أَخَذَ أُسَيْدٌ يَتْلُو كَلَامَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَخَذَتِ الْفَرَسُ تَجُولُ -أَيْ: تَتَحَرَّكُ فِي مَوْضِعِهَا، تَرْفَعُ حَوَافِرَهَا وَتَخْفِضُهَا-، فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ١» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٨ مِنْ جُمَادَىٰ الثَّانِي ١٤٢٣هـ| ٦-٩-٢٠٠٢م.

(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٤٨٥٤)، وأخرجه أيضا (رقم ٧٦٥) ومواضع، ومسلم (رقم ٤٦٣).

(٣) «صحيح البخاري» (رقم ٤٠٢٣)، بلفظ: «...، **وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي**».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «بَلْ اللهَ فَاعْبُدْ» - الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ| ٢١-١٠-٢٠١١م.

ثُمَّ قَرَأَ أُسَيْدٌ، فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ.

ثُمَّ قَرَأَ، فَجَالَتِ الْفَرَسُ، وَكَانَ يَحْيَىٰ قَرِيبًا مِنْهَا، فَخَشِيَ أَنْ تَطَأَ يَحْيَىٰ بِحَافِرِهَا، فَقَامَ فَنَظَرَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَرَأَىٰ كَمِثْلِ الظُّلَّةِ فِيهَا كَأَمْثَالِ السُّرُجِ؛ غَيْرَ أَنَّهَا تَعْرُجُ فِي السَّمَاءِ حَتَّىٰ ذَهَبَتْ، فَخَشِيَ عَلَىٰ يَحْيَىٰ فَسَكَتَ.

ثُمَّ غَدَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ الْبَارِحَةَ.

قَالَ: «**اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ**».

قَالَ: ثُمَّ إِنِّي قَرَأْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ.

قَالَ: «**اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ**».

قَالَ: ثُمَّ إِنِّي قَرَأْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ.

قَالَ: «**اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ**».

قال: يَا رَسُولَ اللهِ! خِفْتُ عَلَىٰ يَحْيَىٰ أَنْ تَطَأَهُ الْفَرَسُ بِحَافِرِهَا، ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ كَمِثْلِ الظُّلَّةِ فِيهَا كَأَمْثَالِ السُّرُجِ، فَلَمَّا سَكَتُّ تَوَارَتْ، وَعُرِجَ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ.

فَقَالَ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ، وَلَوْ أَنَّكَ ظَلَلْتَ فِي قِرَاءَتِكَ وَعَلَيْهَا؛ لَأَصْبَحَ النَّاسُ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ فِي مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٠١٨)، ومسلم (رقم ٧٩٦)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، بلفظ: «**تِلْكَ المَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَىٰ مِنْهُمْ**».

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧]؛ وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ وَحْدَهُ الَّذِي يَصْلُدُ قَلْبُهُ فَوْقَ صَلَادَةِ الْجِبَالِ، وَيَصْلُبُ فُؤَادُهُ فَوْقَ صَلَابَتِهَا!! فَاللَّهُمَّ لَيِّنْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ وَلِذِكْرِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.(*).

وَلَقَدْ تَحَدَّى اللهُ -تَعَالَى- الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، أَوْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِنْ مِثْلِهِ، أَوْ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

قُلْ يَا رَسُولَ اللهِ لِأَئِمَّةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ تَوَهَّمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ صُنْعِكَ، وَحَاوَلُوا إِغْرَاءَكَ بِتَبْدِيلِ مَا كَرِهُوا مِنَ الْقُرْآنِ، قُلْ لَهُمْ: أُقْسِمُ لَكُمْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَاتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فِي إِعْجَازِهِ الْبَيَانِيِّ، وَالْعِلْمِيِّ، وَالتَّشْرِيعِيِّ، وَفِي سَائِرِ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ؛ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مُعِينًا.(*/٢).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ١» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٨ مِنْ جُمَادَىٰ الثَّانِي ١٤٢٣هـ| ٦-٩-٢٠٠٢م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الإسراء: ٨٨]».

«﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَيِ: الْمُكَذِّبُونَ بِهِ عِنَادًا وَبَغْيًا: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ مُحَمَّدٌ عَلَىٰ اللهِ وَاخْتَلَقَهُ!! ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ -مُلْزِمًا لَهُمْ بِشَيْءٍ- إِنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ؛ أَمْكَنَ مَا ادَّعَوْهُ؛ وَإِلَّا كَانَ قَوْلُهُمْ بَاطِلًا.

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يُعَاوِنُكُمْ عَلَىٰ الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَهَذَا مُحَالٌ، وَلَوْ كَانَ مُمْكِنًا لَادَّعَوْا قُدْرَتَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَأَتَوْا بِمِثْلِهِ»[1].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

«﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ﴾ أَيِ: افْتَرَىٰ مُحَمَّدٌ هَذَا الْقُرْآنَ؟! فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: قُلْ لَهُمْ: فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ، ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أَنَّهُ قَدِ افْتَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَأَنْتُمُ الْأَعْدَاءُ حَقًّا، الْحَرِيصُونَ بِغَايَةِ مَا يُمْكِنُكُمْ عَلَىٰ إِبْطَالِ دَعْوَتِهِ، فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؛ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ»[2].

❀❀❀

(١) «تفسير السعدي» (ص٣٦٤).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٣٧٨).

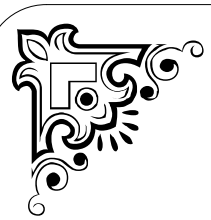

عَظَمَةُ الْخَالِقِ وَقُدْرَتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ يَجِدُهُ عَامِرًا بِالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ -سُبْحَانَهُ-، وَبَيَانِ مَظَاهِرِ قُدْرَتِهِ؛ سَوَاءٌ فِي خَلْقِ الْكَوْنِ، أَوْ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ؛ فَقَدْ أَوْدَعَ اللهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ؛ حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

«﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ أَيْ: مَا أَهْمَلْنَا وَلَا أَغْفَلْنَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ، بَلْ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا مُثْبَتَةٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَتَقَعُ جَمِيعُ الْحَوَادِثِ طِبْقَ مَا جَرَىٰ بِهِ الْقَلَمُ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ قَدْ حَوَىٰ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ، وَهَذَا أَحَدُ مَرَاتِبِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؛ فَإِنَّهَا أَرْبَعُ مَرَاتِبَ: عِلْمُ اللهِ الشَّامِلُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَكِتَابُهُ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَمَشِيئَتُهُ وَقُدْرَتُهُ النَّافِذَةُ الْعَامَّةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَخَلْقُهُ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ حَتَّىٰ أَفْعَالِ الْعِبَادِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكِتَابِ: هَذَا الْقُرْآنُ، وَأَنَّ الْمَعْنَىٰ كَالْمَعْنَىٰ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]»[(١)].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٢٥٥).

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَمَا وَرَدَ فِيهِ عَنْ هَذَا الْكَوْنِ الْوَاسِعِ يَسْتَشْعِرُ عَظَمَةَ الْخَالِقِ وَقُدْرَتَهُ؛ فَالْكَوْنُ كُلُّهُ يَسِيرُ وَفْقَ نِظَامٍ دَقِيقٍ، وَتَرْتِيبٍ بَدِيعٍ، وَتَنْسِيقٍ مُحْكَمٍ، وَإِتْقَانٍ يُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَتِلْكَ صَنْعَةُ بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ [النمل: ٨٨].

وَتَرَىٰ الْجِبَالَ -أَيُّهَا الرَّائِي- تَظُنُّهَا مُتَمَاسِكَةً لَا حَرَكَةَ لِذَرَّاتِهَا، وَلَا سَيْرَ لَهَا فِي جُمْلَتِهَا، وَهِيَ فِي وَاقِعِ حَالِهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ الَّذِي تَتَحَرَّكُ ذَرَّاتُهُ تَحَرُّكًا دَاخِلِيًّا، وَيَسِيرُ فِي جُمْلَتِهِ مِنْ مَوْقِعٍ إِلَىٰ مَوْقِعٍ فِي السَّمَاءِ، وَكَذَلِكَ حَالُ الْجِبَالِ وَسَائِرِ مَا فِي الْأَرْضِ؛ إِذْ ذَرَّاتُ كُلِّ شَيْءٍ تَتَحَرَّكُ حَرَكَاتٍ فِي دَوَائِرَ وَأَقْفَالٍ مُقْفَلَةٍ.

وَجُمْلَةُ الْأَرْضِ مَعَ جِبَالِهَا تَمُرُّ سَائِرَةً فِي دَوْرَةٍ يَوْمِيَّةٍ حَوْلَ نَفْسِهَا، وَفِي دَوْرَةٍ سَنَوِيَّةٍ حَوْلَ الشَّمْسِ.

صَنَعَ اللهُ ذَلِكَ صُنْعَ الَّذِي أَحْكَمَ صُنْعَهُ، وَجَعَلَهُ مُطَابِقًا لِلْمَقْصُودِ مِنْهُ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨- ٣٩].(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [النمل: ٨٨].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الرَّدُّ عَلَىٰ الْمُلْحِدِينَ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مِنَ الْأَدِلَّةِ الْمَادِّيَّةِ عَلَىٰ وُجُودِ اللهِ» - الْخَمِيسُ ١٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٥هـ| ١٩-١٢-٢٠١٣م.

وَتَأَمَّلْ فِي كُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ ذَرَّاتٍ وَعَنَاصِرَ، وَنُظُمٍ وَقَوَانِينَ وَنَوَامِيسَ، وَنِسَبٍ وَرَوَابِطَ وَعَلَائِقَ، وَأَقْدَارٍ وَأَحْجَامٍ وَأَوْزَانٍ، وَمُدَدٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَزْمَانٍ، وَصُوَرٍ وَأَشْكَالٍ وَأَلْوَانٍ، وَحَرَكَاتٍ وَسَكَنَاتٍ وَأَوْضَاعٍ، وَأَجْنَاسٍ وَأَصْنَافٍ وَأَنْوَاعٍ.

وَتَعَالَ تَتَصَوَّرْ عَدَدَ مَا فِي الْعَالَمِ -عَالَمِ الْخَلْقِ- مِنْ شَيْءٍ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الذَّرَّةِ إِلَىٰ الْمَجَرَّةِ، وَتَصَوَّرْ عَدَدَ مَا يَرْبِطُ بَيْنَهَا فِي عَالَمِ الْأَمْرِ مِنْ رَوَابِطَ وَعَلَائِقَ عَلَىٰ اخْتِلَافِ النَّوَامِيسِ وَالْأَقْدَارِ وَالْمُدَدِ، وَالْأَشْكَالِ وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَوْضَاعِ، ثُمَّ تَعَالَ نَدْرُسْ فِي ضَوْءِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ بَعْضَ مَا فِي هَذَا الْعَالَمِ مِنْ تَقْدِيرٍ وَاتِّزَانٍ، وَتَنْظِيمٍ وَتَرْتِيبٍ وَإِحْكَامٍ وَإِتْقَانٍ.

مِنْ جُمْلَةِ الْآيَاتِ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨].

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

هَذَا بَعْضُ كَلَامِ اللهِ الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، سَلِيلِ الْقَبِيلَةِ الْأُمِّيَّةِ، وَرَبِيبِ الْبِيئَةِ الْأُمِّيَّةِ مُنْذُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ.(*).

وَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نَعْبُدَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي النَّظَرِ فِي الْآفَاقِ، وَفِي الْأَنْفُسِ، وَفِيمَا بَثَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي تَضَاعِيفِ هَذَا الْكَوْنِ مِنَ الْآيَاتِ؛ لِكَيْ نَضَعَ أَيْدِينَا عَلَىٰ الْأَسْرَارِ الَّتِي تَرْتَقِي بِهَا الْحَيَاةُ.(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ سِلْسِلَة: «الرَّدُّ عَلَىٰ الْمُلْحِدِينَ» (الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ: مِنَ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَىٰ وُجُودِ الْخَالِقِ) - السَّبْتُ ١١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٥هـ| ١٤-١٢-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحِ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ النَّافِعَةَ الْعَصْرِيَّةَ دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ - السَّبْتُ ١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ١٩-١٠-٢٠١٣م.

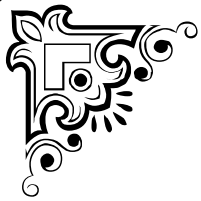

جُمْلَةٌ مِنْ آدَابِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ

عِبَادَ اللهِ! «يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْقُرْآنَ، وَفَضَّلَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَحْمِلْهُ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَخَاصَّتِهِ، وَمِمَّنْ وَعَدَهُ اللهُ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالثَّوَابِ الْكَرِيمِ، وَمَنْ قَالَ اللهُ ﷻ فِيهِمْ: ﴿**يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ**﴾ [البقرة: ١٢١]: قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ، وَمِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ الْكِرَامِ السَّفَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**»(١)، وَقَالَ عِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ: «إِذَا خَتَمَ الْعَبْدُ الْقُرْآنَ؛ قَبَّلَ الْمَلَكُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ؛ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعًا لِقَلْبِهِ، يَعْمُرُ بِهِ مَا خَرِبَ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَتَأَدَّبَ بِآدَابِ الْقُرْآنِ، وَيَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقٍ شَرِيفَةٍ تَبِينُ بِهِ(٢) عَنْ سَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ.

---

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٧٩٨)، وأخرجه أيضا البخاري «صحيحه» (رقم ٤٩٣٧)، بلفظ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**».

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٨٤): «الْمَاهِرُ: الْحَاذِقُ الْكَامِلُ الْحِفْظِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ بِجَوْدَةِ حِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ».

(٢) تَبِينُ بِهِ؛ أي: يَتَمَيَّزُ بِهَا.

فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لَهُ: أَنْ يَسْتَعْمِلَ تَقْوَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ؛ بِاسْتِعْمَالِ الْوَرَعِ فِي مَطْعَمِهِ، وَمَشْرَبِهِ، وَمَلْبَسِهِ، وَمَسْكَنِهِ، بَصِيرًا بِزَمَانِهِ وَفَسَادِ أَهْلِهِ؛ فَهُوَ يَحْذَرُهُمْ عَلَىٰ دِينِهِ، مُقْبِلًا عَلَىٰ شَأْنِهِ، مَهْمُومًا بِإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِهِ، حَافِظًا لِلِسَانِهِ، مُمَيِّزًا لِكَلَامِهِ، إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ إِذَا رَأَىٰ الْكَلَامَ صَوَابًا، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِعِلْمٍ إِذَا كَانَ السُّكُوتُ صَوَابًا، قَلِيلَ الْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، يَخَافُ مِنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ مِنْ عَدُوِّهِ، يَحْبِسُ لِسَانَهُ كَحَبْسِهِ لِعَدُوِّهِ؛ لِيَأْمَنَ شَرَّهُ وَسُوءَ عَاقِبَتِهِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ مِمَّا يَضْحَكُ مِنْهُ النَّاسُ؛ لِسُوءِ عَاقِبَةِ الضَّحِكِ، إِنْ سُرَّ بِشَيْءٍ مِمَّا يُوَافِقُ الْحَقَّ تَبَسَّمَ، يَكْرَهُ الْمُزَاحَ خَوْفًا مِنَ اللَّعِبِ، فَإِنْ مَزَحَ قَالَ حَقًّا، بَاسِطَ الوَجْهِ، طَيِّبَ الْكَلَامِ، لَا يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِمَا فِيهِ؛ فَكَيْفَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ؟!!

يَحْذَرُ نَفْسَهُ أَنْ تَغْلِبَ عَلَىٰ مَا تَهْوَىٰ مِمَّا يُسْخِطُ مَوْلَاهُ، لَا يَغْتَابُ أَحَدًا، وَلَا يَحْقِرُ أَحَدًا، وَلَا يَسُبُّ أَحَدًا، وَلَا يَشْمَتُ بِمُصِيبَةٍ، وَلَا يَبْغِي عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَحْسُدُهُ، وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ بِأَحَدٍ إِلَّا بِمَنْ[1] يَسْتَحِقُّ، يَحْسُدُ بِعِلْمٍ، وَهِيَ الْغِبْطَةُ، وَيَظُنُّ بِعِلْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ عَيْبٍ بِعِلْمٍ، وَيَسْكُتُ عَنْ حَقِيقَةِ مَا فِيهِ بِعِلْمٍ، قَدْ جَعَلَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَىٰ كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ، حَافِظًا لِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، إِنْ مَشَىٰ مَشَىٰ بِعِلْمٍ، وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ بِعِلْمٍ.

يَجْتَهِدُ لِيَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلُمَ، وَلَا يَظْلِمُ، وَإِنْ ظُلِمَ عَفَىٰ، وَلَا يَبْغِي، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ لِيُرْضِيَ رَبَّهُ، وَيَغِيظَ عَدُوَّهُ، مُتَوَاضِعٌ فِي نَفْسِهِ، إِذَا قِيلَ لَهُ الْحَقُّ قَبِلَهُ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، يَطْلُبُ

---

(١) كذا وفي الأصل: [لمن].

الرِّفْعَةَ مِنَ اللهِ ﷻ، لَا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، مَاقِتًا لِلْكِبْرِ، خَائِفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْهُ، لَا يَتَأَكَّلُ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ تُقْضَىٰ لَهُ بِهِ الْحَوَائِجُ، وَلَا يَسْعَىٰ بِهِ إِلَىٰ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، وَلَا يُجَالِسُ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ لِيُكْرِمُوهُ، إِنْ كَسَبَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ بِلَا فِقْهٍ وَلَا بَصِيرَةٍ؛ كَسَبَ هُوَ الْقَلِيلَ بِفِقْهٍ وَعِلْمٍ، إِنْ لَبِسَ النَّاسُ اللَّيِّنَ الْفَاخِرَ، لَبِسَ هُوَ مِنَ الْحَلَالِ مَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ، إِنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ، وَإِنْ أُمْسِكَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ، يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ، وَيَحْذَرُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُطْغِيهِ.

يَتَّبِعُ وَاجِبَاتِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ بِعِلْمٍ، وَيَشْرَبُ بِعِلْمٍ، وَيَلْبَسُ بِعِلْمٍ، وَيَنَامُ بِعِلْمٍ، وَيُجَامِعُ أَهْلَهُ بِعِلْمٍ، وَيَصْحَبُ إِخْوَانَهُ بِعِلْمٍ، وَيَزُورُهُمْ بِعِلْمٍ، وَيَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ، وَيُجَاوِرُ جَارَهُ بِعِلْمٍ، يُلْزِمُ نَفْسَهُ بِرَّ وَالِدَيْهِ، فَيَخْفِضُ لَهُمَا جَنَاحَهُ، وَيَخْفِضُ لِصَوْتِهِمَا صَوْتَهُ، وَيَبْذُلُ لَهُمَا مَالَهُ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا بِعَيْنِ الْوَقَارِ وَالرَّحْمَةِ، يَدْعُو لَهُمَا بِالْبَقَاءِ، وَيَشْكُرُ لَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، لَا يَضْجَرُ بِهِمَا، وَلَا يَحْقِرُهُمَا، إِنِ اسْتَعَانَا بِهِ عَلَىٰ طَاعَةٍ أَعَانَهُمَا، وَإِنِ اسْتَعَانَا بِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ لَمْ يُعِنْهُمَا عَلَيْهَا، وَرَفَقَ بِهِمَا فِي مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُمَا، أَيْ: عِنْدَمَا يَرْفُضُ طَاعَتَهُمَا فِي الْمَعْصِيَةِ؛ فَلْيَكُنِ الرَّفْضُ بِأَدَبٍ وَرِفْقٍ، بِحُسْنِ الْأَدَبِ؛ لِيَرْجِعَا عَنْ قَبِيحِ مَا أَرَادَا مِمَّا لَا يَحْسُنُ بِهِمَا فِعْلُهُ.

يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَكْرَهُ الْقَطِيعَةَ، مَنْ قَطَعَهُ لَمْ يَقْطَعْهُ، وَمَنْ عَصَىٰ اللهَ فِيهِ أَطَاعَ اللهَ فِيهِ، يَصْحَبُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِلْمٍ، وَيُجَالِسُهُمْ بِعِلْمٍ، مَنْ صَحِبَهُ نَفَعَهُ، حَسَنُ الْمُجَالَسَةِ لِمَنْ جَالَسَ، إِنْ عَلَّمَ غَيْرَهُ رَفَقَ بِهِ، لَا يُعَنِّفُ مَنْ أَخْطَأَ، وَلَا يُخَجِّلُهُ، رَفِيقٌ فِي أُمُورِهِ، صَبُورٌ عَلَىٰ تَعْلِيمِ الْخَيْرِ، يَأْنَسُ بِهِ الْمُتَعَلِّمُ، وَيَفْرَحُ بِهِ الْمُجَالِسُ، مُجَالَسَتُهُ تُفِيدُ خَيْرًا، مُؤَدِّبٌ لِمَنْ جَالَسَهُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، إِنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ لَهُ

مُؤَدِّبَانِ، يَحْزَنُ بِعِلْمٍ، وَيَبْكِي بِعِلْمٍ، وَيَصْبِرُ بِعِلْمٍ، وَيَتَطَهَّرُ بِعِلْمٍ، وَيُصَلِّي بِعِلْمٍ، وَيُزَكِّي بِعِلْمٍ، وَيَتَصَدَّقُ بِعِلْمٍ، وَيَصُومُ بِعِلْمٍ، وَيَحُجُّ بِعِلْمٍ، وَيُجَاهِدُ بِعِلْمٍ، وَيَكْتَسِبُ بِعِلْمٍ، وَيُنْفِقُ بِعِلْمٍ، وَيَنْبَسِطُ فِي الْأُمُورِ بِعِلْمٍ، وَيَنْقَبِضُ عَنْهَا بِعِلْمٍ، قَدْ أَدَّبَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، يَتَصَفَّحُ الْقُرْآنَ لِيُؤَدِّبَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا يَرْضَىٰ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا فَرَضَ اللهُ ﷻ بِجَهْلٍ، قَدْ جَعَلَ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ.

إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ فَبِحُضُورِ فَهْمٍ وَعَقْلٍ، هِمَّتُهُ إِيقَاعُ الْفَهْمِ لِمَا أَلْزَمَهُ اللهُ ﷻ مِنَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَىٰ، لَيْسَ هِمَّتُهُ مَتَىٰ أَخْتِمُ السُّورَةَ، هِمَّتُهُ مَتَىٰ أَسْتَغْنِي بِاللهِ عَنْ غَيْرِهِ، مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ، مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الْخَاشِعِينَ، مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الصَّابِرِينَ، مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الصَّادِقِينَ، مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الْخَائِفِينَ، مَتَىٰ أَكُونُ مِنَ الرَّاجِينَ، مَتَىٰ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، مَتَىٰ أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، مَتَىٰ أَتُوبُ مِنَ الذُّنُوبِ، مَتَىٰ أَعْرِفُ النِّعَمَ الْمُتَوَاتِرَةَ، مَتَىٰ أَشْكُرُ عَلَيْهَا، مَتَىٰ أَعْقِلُ عَنِ اللهِ -جَلَّتْ عَظَمَتُهُ- الْخِطَابَ، مَتَىٰ أَفْقَهُ مَا أَتْلُو، مَتَىٰ أَغْلِبُ نَفْسِي عَلَىٰ مَا تَهْوَىٰ، مَتَىٰ أُجَاهِدُ فِي اللهِ -تَعَالَىٰ- حَقَّ الْجِهَادِ، مَتَىٰ أَحْفَظُ لِسَانِي، مَتَىٰ أَغُضُّ طَرْفِي، مَتَىٰ أَحْفَظُ فَرْجِي، مَتَىٰ أَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، مَتَىٰ أَشْتَغِلُ بِعَيْبِي، مَتَىٰ أُصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِي، مَتَىٰ أُحَاسِبُ نَفْسِي، مَتَىٰ أَتَزَوَّدُ لِيَوْمِ مَعَادِي، مَتَىٰ أَكُونُ عَنِ اللهِ رَاضِيًا، مَتَىٰ أَكُونُ بِاللهِ وَاثِقًا.

مَتَىٰ أَكُونُ بِزَجْرِ الْقُرْآنِ مُتَّعِظًا، مَتَىٰ أَكُونُ بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ مُشْتَغِلًا، مَتَىٰ أُحِبُّ مَا أَحَبَّ، مَتَىٰ أُبْغِضُ مَا أَبْغَضَ، مَتَىٰ أَنْصَحُ للهِ، مَتَىٰ أُخْلِصُ لَهُ عَمَلِي، مَتَىٰ أُقَصِّرُ أَمَلِي، مَتَىٰ أَتَأَهَّبُ لِيَوْمِ مَوْتِي وَقَدْ غُيِّبَ عَنِّي أَجَلِي، مَتَىٰ أَعْمُرُ قَبْرِي، مَتَىٰ أُفَكِّرُ فِي الْمَوْقِفِ وَشِدَّتِهِ، مَتَىٰ أُفَكِّرُ فِي خَلْوَتِي مَعَ رَبِّي، مَتَىٰ أُفَكِّرُ فِي الْمُنْقَلَبِ،

مَتَىٰ أَحْذَرُ مِمَّا حَذَّرَنِي مِنْهُ رَبِّي؛ مِنْ نَارٍ حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَغَمُّهَا طَوِيلٌ، لَا يَمُوتُ أَهْلُهَا فَيَسْتَرِيحُوا، وَلَا تُقَالُ عَثْرَتُهُمْ، وَلَا تُرْحَمُ عَبْرَتُهُمْ، طَعَامُهُمُ الزَّقُّومُ، وَشَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

نَدِمُوا حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ، وَعَضُّوا عَلَىٰ الْأَيْدِي أَسَفًا عَلَىٰ تَقْصِيرِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَرُكُونِهِمْ لِمَعَاصِي اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَقَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

وَقَالَ قَائِلٌ: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨].

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ وَوُجُوهُهُمْ تَتَقَلَّبُ فِي أَنْوَاعِ الْعَذَابِ: ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: ٦٦].

فَهَذِهِ النَّارُ -يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ- حَذَّرَهَا اللهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ؛ رَحْمَةً مِنْهُ بِالْمُؤْمِنِينَ[1]، ثُمَّ حَذَّرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْفَلُوا عَمَّا

(١) في الأصل زيادة: فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

فُرِضَ عَلَيْهِمْ، وَمَا عَهِدَهُ إِلَيْهِمْ أَلَّا يُضَيِّعُوهُ، وَأَنْ يَحْفَظُوا مَا اسْتَرْعَاهُمْ مِنْ حُدُودِهِ، وَلَا يَكُونُوا كَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ فَسَقَ عَنْ أَمْرِهِ فَعَذَّبَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ.

فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ إِذَا تَلَا الْقُرْآنَ؛ اسْتَعْرَضَ الْقُرْآنَ -أَيْ: عَرَضَهُ عَلَىٰ حَالِهِ-، فَكَانَ كَالْمِرْآةِ، يَرَىٰ بِهَا مَا حَسُنَ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَا قَبُحَ مِنْهُ، فَمَا حَذَّرَهُ مَوْلَاهُ حَذِرَهُ، وَمَا خَوَّفَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِ خَافَهُ، وَمَا رَغَّبَهُ فِيهِ مَوْلَاهُ رَغِبَ فِيهِ وَرَجَاهُ.

فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ، أَوْ مَا قَارَبَ هَذِهِ الصِّفَةَ؛ فَقَدْ تَلَا الْقُرْآنَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَكَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شَاهِدًا وَشَفِيعًا وَأَنِيسًا وَحِرْزًا، وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفَهُ؛ نَفَعَ نَفْسَهُ، وَنَفَعَ أَهْلَهُ، وَعَادَ عَلَىٰ وَالِدَيْهِ وَعَلَىٰ وَلَدِهِ كُلُّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

عَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ: «مَرَّتِ امْرَأَةٌ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَقَالَتْ: طُوبَىٰ لِحِجْرٍ حَمَلَكَ، وَلِثَدْيٍ رَضَعْتَ مِنْهُ، فَقَالَ عِيسَىٰ: طُوبَىٰ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ عَمِلَ بِهِ[1]»[2]؛ يُرِيدُ عليه السلام الْوَحْيَ.(*).

---

(١) «**أخلاق أهل القرآن**»: (ص٨٢، رقم)، وأخرجه أيضا أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بن سَعْدَان المقري في «**الوقف والابتداء**»: (ص٦٦، رقم٧)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (١٠/ ٤٨٤/ رقم٣٠٦٣٨) و(١١/ ٥٤٨/ رقم٣٢٥٣٩) و(١٣/ ١٩٣/ رقم٣٥٣٧٢)، وأحمد في «**الزهد**»: (ص٥١، رقم٣١٩)، وأبو نعيم الأصبهاني في «**حلية الأولياء**»: (٤/ ١١٩)، بإسناد صحيح، عن خيثمة، به، وهو الفقيه الثقة: خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي، من الوسطىٰ من التابعين، مات بعد سنة ثمانين.

(٢) «**أخلاق أهل القرآن**» للآجري: (ص٧٧-٨٢)، باختصار يسير.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «شَأْنُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَة ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨هـ - ١٦-٦-٢٠١٧م.

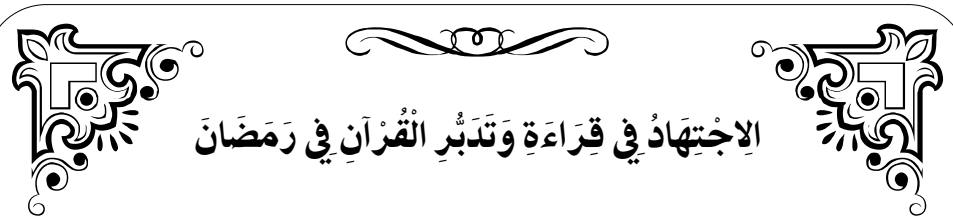

الِاجْتِهَادُ فِي قِرَاءَةِ وَتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ

عِبَادَ اللهِ! الحَاصِلُ أَنَّ هَذَا الشَّهْرَ يَنْبَغِي عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ، وَأَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَتْلُو كِتَابَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا كَانَ لَا يَتْلُو كِتَابَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تِلَاوَةً صَحِيحَةً، فَيَجْلِسُ إِلَىٰ مَنْ يُحْسِنُ التِّلَاوَةَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفِيَّةَ التِّلَاوَةِ، فَإِنْ كَانَ مُتْقِنًا مُحْسِنًا لِلتِّلَاوَةِ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ الْأَقَلِّ مَرَّةً فِي الشَّهْرِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ -يَعْنِي: فِي الْقِيامِ- يَسْمَعُهُ مِنَ الْإِمَامِ؛ فَذَلِكَ؛ وَإِلَّا فَلْيَجْتَهِدْ هُوَ فِي تِلَاوَةِ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي قِيَامِ هَذَا الشَّهْرِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١)، وَكَذَلِكَ «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢)؛ فَنَصَّ عَلَىٰ فَضْلِ الصِّيَامِ، وَعَلَىٰ فَضْلِ الْقِيَامِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠٠٨)، وَمُسْلِمٌ (٧٥٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٠١)، وَمُسْلِمٌ (٧٦٠).

بَشَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الْقِيَامِ بِبُشْرَىٰ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: «**مَنْ صَلَّىٰ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»(١)، يَعْنِي: لَوْ كَانَ الْإِمَامُ يُخَفِّفُ فِي التِّلَاوَةِ وَفِي الصَّلَاةِ، وَلَكِنْ لَا يُخَالِفُ السُّنَّةَ، يُرَاعِي أَحْوَالَ الْمُصَلِّينَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَلِّ بِصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ**»(٢)، فَيُصَلِّي مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ، «**مَنْ صَلَّىٰ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»، فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ.

يَتَبَقَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ وَقْتٌ لَمْ يُنْفَقْ فِي الصَّلَاةِ -فِي القِيَامِ-، فَلْيُنْفِقْهُ هُوَ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فِي الذِّكْرِ، فِي الدُّعَاءِ، فِي الْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْإِنَابَةِ، وَالخُشُوعِ، وَالرَّجَاءِ، أَلْوَانُ الْعِبَادَاتِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَكُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ فَهُوَ عِبَادَةٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يُثَابُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ.(*).

لِيَكُنْ مِنْ وُكْدِكُمْ عِنْدَ تِلَاوَتِكُمْ كِتَابَ رَبِّكُمْ أَنْ تَتَدَبَّرُوهُ، عَيْبٌ كَبِيرٌ أَنْ نَعْكُفَ عَلَىٰ الْكِتَابِ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ لَا نَدْرِي الْمَقَاصِدَ، وَلَا نُحِيطُ بِشَيْءٍ

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٧٥)، والترمذي (٨٠٦) وغيرهما عن أبي ذر بلفظ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّىٰ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»؛ وصححه الألباني في «الإرواء» (٤٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٢٧٠)، وأبو داود (٥٣١) وغيرهما عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي، قَالَ: «**أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ وَاتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَىٰ أَذَانِهِ أَجْرًا**» وصححه الألباني في «الإرواء» (١٤٩٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ١».

مِنَ الْمَعَانِي، وَلَا نَتَّعِظُ بِوَاعِظٍ، وَلَا نَنْزَجِرُ بِزَاجِرٍ، وَلَا نَتَأَمَّلُ وَلَا نَتَدَبَّرُ فِي آيَاتِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَمَا أَنْزَلَهَا إِلَّا لِتُتَدَبَّرَ.(*).

نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِصِيَامِ هَذَا الشَّهْرِ وَقِيَامِهِ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي يَرْضَىٰ بِهِ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنَّا، حَتَّىٰ يَنْسَلِخَ عَنَّا الشَّهْرُ إِنْ أَحْيَانَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَقَدْ غَفَرَ لَنَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ انْسَلَخَ عَنْهُ رَمَضَانُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ**»(٢).

فَمَنْ خَرَجَ مِنْ رَمَضَانَ غَيْرَ مَغْفُورٍ لَهُ؛ فَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ بِالذُّلِّ «**رَغِمَ أَنْفُهُ**»: يَعْنِي: الْتَصَقَ بِالرَّغَامِ، يَعْنِي: بِالتُّرَابِ، وَالْأَنْفُ يَشْمَخُ بِهِ الْعَبْدُ، وَهُوَ مَحَطُّ عِزَّتِهِ وَشُمُوخِهِ، فَإِذَا كَانَ فِي التُّرَابِ؛ فَهَذَا دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالذُّلِّ، الَّذِي كَانَ يَدْعُو هُوَ جِبْرِيلُ، وَالَّذِي أَمَّنَ عَلَىٰ الدُّعَاءِ هُوَ الرَّسُولُ «**رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ انْسَلَخَ عَنْهُ رَمَضَانُ**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «شَأْنُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَة ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨هـ - ١٦-٦-٢٠١٧م.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٨٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٨٥٠٤) وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «**آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ**»، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا فَقَالَ: «**قَالَ لِي جِبْرِيلُ: أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَ عَبْدٍ -أَوْ بَعُدَ- دَخَلَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ -أَوْ بَعُدَ- أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ -أَوْ بَعُدَ- ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ**». وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٨٠): «حسن صحيح» (رَغِم) بكسر الغين المعجمة؛ أي: لصق بالرغام، وهو: التراب ذلًّا وهوانًا.

فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ»؛ فَاحْذَرْ هَذِهِ؛ لِأَنَّكَ إِنْ خَرَجْتَ مِنْ رَمَضَانَ غَيْرَ مَغْفُورٍ لَكَ؛ نَزَلَ بِالْأَبْعَدِ مِنَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ.(*).

فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-، وَأَقْبِلُوا عَلَىٰ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ بِقُلُوبٍ خَاشِعَةٍ، وَنُفُوسٍ ذَلِيلَةٍ لِرَبِّهَا، عَلَيْهِ مُقْبِلَةٌ، عَنْ سِوَاهُ مُدْبِرَةٌ، وَاللهُ يَرْعَاكُمْ، وَيُسَدِّدُ خُطَاكُمْ، وَيَنْفَعُكُمْ بِكِتَابِهِ دُنْيَا وَآخِرَةً.(*/٢).

نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُيَسِّرَ لَنَا تِلَاوَةَ وَفَهْمَ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ التَّالِينَ لَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، الْعَامِلِينَ بِهِ، الثَّابِتِينَ عَلَيْهِ، الدَّاعِينَ إِلَيْهِ حَتَّىٰ نَلْقَىٰ وَجْهَهُ الْكَرِيمَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*/٣).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ١».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «شَأْنُ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَة ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨هـ - ١٦-٦-٢٠١٧م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ ٢» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ١٨-٥-٢٠١٨م.

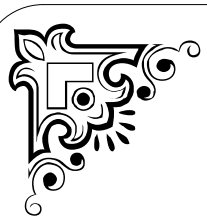

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ..... ٤

حَالُ السَّلَفِ مَعَ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ..... ٧

مِنْ فَضَائِلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ..... ١٠

الْحَثُّ عَلَىٰ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ..... ٢٠

مَعْنَىٰ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَثَمَرَاتُهُ..... ٢٤

قُوَّةُ تَأْثِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ..... ٣٩

عَظَمَةُ الْخَالِقِ وَقُدْرَتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ..... ٤٤

جُمْلَةٌ مِنْ آدَابِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ..... ٤٨

الِاجْتِهَادُ فِي قِرَاءَةِ وَتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ..... ٥٤